قصص قصيرة جدا

فتحي الابياري

●●● صمم الغـــلاف
الفنان أحمد مصطفى

●●● نحن فى أشد الحاجة

فى حياتنا

إلى كلمة حلوة . .

ما هى . . ؟

محطة « أوتوبيس » بجوار المبنى الشاهق للتليفزيون . مجموعات مختلفة من الركاب الذين هدهم الانتظار يشاهدون « مواكب الاتوبيسات » التى تمر من أمامهم مزدحمة بالناس ، أشبه بعلب « الرنجه » . النيل المغبر أمامهم يمتص الملل من نفوسهم . الساعة تقترب من الرابعة بعد الظهر ، والشمس مختفية خلف مظلة من السحب القاتمة ، وبعض الرذاذ يتساقط على وجوه الناس الكالحة .

ومزق شمل الركاب المنتظرين أمام المحطة . . حمار . . يجر عربة صغيرة فوقها كشك سجاير جديد . وازاح من أمامه بعضهم . وفى منتصف الموقف . . وقف الحمار . واقترب منه صاحبه ، يخلع عنه الاحزمه . وفكه من العربة ، فاندس الحمار بحرية بين كومة الركاب المنتظرين فوق الرصيف . وراح يشمشم عن ورقة خس ، أو أى شىء . وبدأ صاحب الحمار يفك الحبال التى تربط كشك السجاير بالعربة الصغيرة واقترب منه رجل . صاح فيه :

- كما أنت
- خيرا ! ! ؟
- أين ستضع الكشك ؟
- هنا

- ممنـوع
- الترخيص
- ولو
- لازم هنـا
- ممنوع . . ممنوع . . أنا صاحب الورشه ولا يمـكن وضع الـكشك أمام الورشه .
- لـكن الترخيص .
- أرميه فى النيل
- كلم صاحب الـكشك
واقترب شاب من الرجل وفى عينيه غضب ، وقال لصاحب الورشه :
- أنت اشتريت الأرض ؟
- أنا قلت الـكشك ... لن يوضع هنا .
- بالقوة وبالذوق ... الـكشك
- لا داعى للكلام الـكثير
- مهندس الرخص قال إنه يوضع هنا
- الـكشك سيسد باب الورشه
- نتفاهم ! !
- لا تفاهم ... ضع الـكشك بجوار المحطة .

واستيقظ الركاب من نوم الانتظار على هذا الحوار ، واقترب بعضهم من الرجل والشاب للاشتراك فيما حـدث ... ليقتلوا ملل الانتظار . وقال الشاب :

ـ سأضع الـكشك ... واذهب إلى القسم ... وأحضر المعاون لتحديد مـكانه .
ـ قبل أن تصل إلى القسم لن تجد الـكشك .

وتدخل الناس لتخفيف حدة الموقف ... وأخذ بعضهم صاحب الورشه بعيدا ، والتف البعض الآخر حول الشاب لاقناعه بوضع الـكشك بجوار المحطة ... أفضل ... وكله رزق . ويتصايح الشاب :

ـ لا بد أن يوضع الـكشك كما حددت الرخصة .
ويصرخ صاحب الورشه من بعيد :
ـ الأرزاق ... من عند الله ... لـكن لا يســد مدخل الورشه ... لو نزلت الملائكة من السماء لن يوضع الكشك هنا .

وانفلت الشاب من كومة الركاب الملتفين حوله ، وجرى نحـو صاحب الورشة ... ووقفا وجهاً لوجه . الشاب تقلصت عضلات وجهه على شر أكيد ، أزعج صاحب الورشه ، ولكنه أخفى اضطرابه فى تلك الكلمات :

ـ تعالى معى فى عربتى ... وأذهب معـــك إلى القسم ... لـكن لن يوضع الكشك أمام الورشه ...
ـ قوة ... فتونه ! !
ـ لا قوة ... ولا أى شىء .. لكن الأصول ... الكشك لن يوضع هنا ...

ولا داعى للكلام ... ضعه بجوار المحطة ... المسافة لا تبعد غير خمسة أمتار .

وصاح صاحب الحمـــار :

- الحمار يا ولاد الكلب .

وترك كومة الركاب ، والشاب وصاحب الورشه وجرى خلف أحد الصبية الذى كان يشد معه الحمار . وعاد بالحمار ... ليجد الناس قد أقنعوا الشاب بأن يضع الكشك بجوار المحطة والبيت الكبير ... فيه رزق كبير . وبسرعة انزل الكشك ... ليقبض أجرته بينما استمر الشاب فى كلامه مع الناس .

- قوة ... لا ... لكن كلمة حلوه ... هى كل حاجة ... والأرزاق يوزعها ربنا هنا والا هنا .

وانشغل صاحب الحمار بعربته ، واقتربت فتاة جميلة من المحطة لتنضم إلى كومة المنتظرين . وحياها أحد الشبان قائلا :

- ربنا قال نحب الجمال .

لم يكمل كلامه ، فقد وصل موكب من الاتوبيسات وتسابق الركاب كأنهم فى حالات ذعر . وابتلعت الاتوبيسات الفتاة الجميلة ... والشاب ... وبقية الركاب الذين انزاح عنهم ملل الانتظار ... ولم يبق على المحطة ... سوى صاحب الورشة والحمار وصاحبه ... والكشك الجديد .



●●● أن أعرف كل شيء . .
ولا أستطيع أن أفعل شيئا
هو الموت . .
لذلك . . لا بد أن أتحدى ! !

فجر أحد أيام أكتوبر .. قرية صغير بالقرب من غزة .. مجموعات من الأهالى تتدحرج خارج بيوتها فى ذعر .. كأن الجحيم قد فتحت أبوابه لالتهامهم .. بجـــوار أبواب البيوت وقفت مجموعات كثيرة من الجنود الاسرائيليين بمدافعهم الرشاشة .. يساعدون على دحرجة الأهالى .. وكأنهم يكنسونهم .. تكومت مجموعات الأهالى فى غير تنسيق .. الشيوخ يتحاملون على عصى مهمشة ، والنساء فى اضطراب .. وارتعاش .. يسندن أنفسهن ، ويخفين أطفالهن فى صدورهن .. صراخ الاطفال .. ماما .. بابا .. كان الصوت الوحيد الحاد الذى علا على أصوات .. الجنود الاسرائيليين .. وأوامرهم .. وأوامر ضباطهم .. وبكاء النسوة الخافت .. وصمت بعض الشبان على ما يحـــدث .. تحركت إحدى الدبابات .. وصوبت مدافعها إلى صدور .. المجموعة المضطربة .. من أهـــالى هذه القرية .

وبدأ الحوار عندما صاح أحد الضباط الاسرائيليين فى الميكرفون .. قائلا :

- من الذى قتل التاجر اليهودى بالأمس .. ؟

- صمت ..

- أين اختفى المخرب الذى قتله .. ؟

ـ صمت . .
ـ سنعاملكم بكل رفق . . ولن ننسف بيوتكم . .
ازداد الهمس ، والحوار الخافت

ـ أوغاد . .
ـ لن يعرفوا شيئا . .
ـ أمي المشلولة في السرير داخل البيت . . قد ينسفون البيت عليها . .
ـ هل سنقف هكذا نتفرج . .
ـ وماذا نفعل أمام الدبابات والجنود المسلحين . . وليس معنا أى شيء . .
ـ لا بد أن نفعل شيئا . .
ـ أى شيء معناه الانتحار . .
ـ أن أموت ولا أعرف شيئا . . أفضل
ـ كيــف ؟
ـ أن أعرف كل شيء . . ولا أستطيع أن أفعل شيئا . . هو الموت . . كل دقيقة . . وكل ساعة . . وكل يوم . . سينسفون البيت . . ونبقى فى العراء . . بلا شيء . . لأننا لا نستحق أن نكون شيئا . . ولذلك . . لابد أن أتحدى
ـ هذا تهور . . ان رصاصة لا تساوى شيئا . . ستحطم رأسك . .
ـ لا بد أن نفعل شيئا .
ـ لا تتحدثان هكذا . . بصوت مرتفع . . أن فوهات البنادق تراقبنا
ـ ماما . . ماما . . عروستى . . عروستى فى البيت
ـ لا تبكى يا رويدا

ـ ماما .. أريد عروستى .. أريد عروستى ..
ـ سأحضرها لك بعد قليل ..
ـ عروستى .. ماما .. أريد عروستى
ـ لا تبكى .. ياروبدا .. بعد قليل أحضرها لك ياحبيبتى ..

تحرك الضابط الاسرائيلى فى الأرض الفضاء .. أمام أهالى البيوت الخاوية .. كالديك الرومى .. ومعـــه الميكرفون الصغير .. ومن حوله دبابات .. وجنود .. وعيون كلها حقد .. وألم مكتوم .. كعيون الصقور إذا لم تتمكن من القبض على فريستها .. لم يتبين أحـــد وجهه ، فالرمال تتطاير .. تلطمه وتلطم وجوه جميع الواقفين .. منذرة بهبوب عاصفة وصاح قائلا :

ـ أمامكم عشر دقائق .. وسننسف بيوتكم ..
ـ صمت
ـ نريد أن نعرف من المخرب الذى قتل التاجر .. ونترك لكم كل شىء ..
وعادت الهمسات من جديد
ـ إنه يريد أن يعرف .. من الفدائى ..
ـ ليس واحدا ..
ـ لقد اغتاظوا عندما عرفوا أننا قتلنا جاسوسهم العجوز الطرابلسى وابنته لبينه ..
ـ كانوا يتجسسون على حركات الفدائيين .. ويخبرون التاجر اليهودى ..
ـ قلت لكما .. لا كلام ..

- هل سيقول أحد شيئا عنا ..
- قتلنا الخونة .. لن يتكلم أحد
- لن نكسب معركتنا .. إلا
- أعرف .. بعد قتل كل الخونة ..
- أنهم أخطر من عدونا .. لأنهم بيننا
- ماما .. ماما .. أريد عروستى ..
- بعد قليل أحضرها .. لك ..
- أمى المشلولة فى السرير .. فى السرير داخل البيت ..
- انهم يضعون الديناميت ..
- لا تريدون أن تتكلموا .. بقيت دقيقة .. دقيقة واحدة

وقف الضابط الاسرائيلى ينظر فى غضب إلى عيون الأهالى المتعلقة ببيوتهم .. تطايرت الرمال .. تلطم كل شىء فى صوت كالعويل. انفلتت البنت الصغيرة من يد أمها .. وجرت نحو بيتها ..

- عروستى .. عروستى ..
- رويدا .. رويدا .. رويدا .. تعالى .. تعالى
- لا يتحرك أحد .. لا يتحرك .. أضرب ..

تحرك الجمع الصامت .. تكومت الأم فوق ابنتها على الأرض .. انفجر الديناميت .. تطايرت أشلاء المنازل .. طلقات رصاص تزوم .. وسط الرمال التى عربدت فى الجو .. الجنود .. وضباطهم بدأوا يتراجعون فى حراسة دباباتهم ..

وبقيت أشلاء من البيوت .. ودموع انحبست فى العيون ..
وكلمات قصيرة .. ولم يعد للهمس وجود

ـ أمى .. أمى .. حطموا فوقها البيت
ـ رويدا .. رويدا
ـ أنها بخير ..
ـ والأم ..
ـ مجروحة ..
ـ ماما .. عروستى .. كسروها ..
ـ سنحضرها لك ..
ـ ماما .. عروستى ..
ـ لا تبكى ياحبيبتى .. سنحضرها لك



... وأحاطها بذراعه ، وسارا .. لا يسمعان شيئا سوى دقات قلبيهما .

(كعبة أخرى .. للحب)

●●● وعاد الشارع إلى أضوائه
الشاحبة وصمت القبور ..
الـذى يتمزق بين لحظـة
وأخرى .. بنباح الكلاب!!!

أحد

شوارع شبرا الشاحبة الاضواء .. بعض الاشباح من الناس يمرون من الشارع ، وقد اقتربت الساعة من الحادية عشر مساء. وعلى الرصيف بجوار حائط أحد المنازل ، تكومت امرأة.. هى وتراب الارض .. وظلام الشارع شىء واحد ، لولا أنينها المكتوم .. كصراخ قطة دهمتها عجلات سيارة .. وبجوارها وقف عنتر .. يضربها بحذائه .. اقترب بعض المارة .. كعادة المصريين .. يرون ما يحدث فى الظلام .. شعرت المرأة باقتراب الناس فارتفعت صرخاتها وتلاشى الانين .. وبدأ العويل ..

- يا أمى .. آه .. آه .. الحقونى.. الحقونى .. آه .. الدم .. الدم..
يا أمى .. الحقينى ..

- أخرسى يابنت الكلب ..

- آى .. آى .. الحقونى .. الدم .

طفل يصرخ .. ثلاثة أولاد بجوار المرأة يصرخون هم أيضا بذعر .. بعض نوافذ المنزل تفتح .. تضاء الأنوار ، تطل منها رءوس .. لترى ما يحدث .. ازداد عدد المارة حول المرأة المكومة التى استمرت فى العويل وهى ممسكة بطفلها .. المذعور ..

- قومى يابنت الكلب ..

ـ آي . . يا أمي . . الحقوني . .
ـ قومي روحي . . أحسن أموتك . .
ـ أموت أحسن . . آه . . آه . . الدم . .
ـ عيب . . كفاية تضربها
ـ مراتي . . وأنا حر فيها
ـ سايبنا بدون مليم . . وهربان . .
ـ أخرسي . .
ـ أطلب فلوس . . يضربني . .
ـ كل وجهها دم . . نطلب الأسعاف . .
ـ آه . . آه . . الدم . . آه . . يا أمي
ـ ماء . . ماء . .
ـ أغسلي وجهك . .
ـ آه . . كل ما اطلب قرش . . يهرب بالشهر . .
ـ بنت كلب . . قومي أحسن . .
ـ عيب لا داعي للضرب في الشارع . . أعطها أي شيء . .
ـ معاها كل حاجة
ـ كداب . . كداب . . كداب . .
أسكتي عيب . . .

اقترب أحد المارة ومعه راديو ترانستور مفتوح ، من مجموعة الأشباح ، ليبحث بعينيه في هذا الظلام عن استفسارات أسئلة فضوله، بينما اللحن المميز لنشرة الأخبـــار يعزف . وينطلق

صوت المذيع يقرأ النشرة ..

- هنا القاهرة ..
صرح ناطق عسكرى بأن مجموعة من قواتنا الخاصة قد عبرت القناة وقامت بعدة عمليات ناجحة خلف خطوط العدو وألحقت به خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات ، وعاد جميع الأفراد إلى قواعدهم سالمين .

وأعلن متحدث باسم قوات العاصفة ، بأن مجموعة من الفدائيين قاموا بنسف الخط الحديدى فى غزة للمرة الثانية خلال هذا الأسبوع . وتمكنت من تدمير سيارة نصف مجنزرة فقتل وأصيب جميع من فيها ..

وأغلق الراديو .. ليستمع إلى صراخ المرأة

- كداب .. يصرف الفلوس على الخمر
- أسكتى يابنت الكاب
- عيب .. لا داعى للضرب ..
- كداب .. والله
- عيب .. أسكتى ..
- رجالة يدافعون عن بعض .. والمرأة .. كل وجهها .. دم .. ألا يوجد رجل .. يضربه .. الجبان ..
- كداب .. والله .. كداب .. جبان ..
- لا تسمع كلامها ..
- أسكتى ياست .. وأمسحى الدم .. قومى ..

- جبان .. يضرب الطفل ..
- آه .. آه .. تعالى يابت .. تعالى ياولد .. هات أخوك

لمت المرأة ملاءتها السوداء، ومسحت وجهها بكمها بعد أن غسلته ببعض الماء وسارت وخلفها أولادها الثلاثة ، وهى تحمل طفلها الصغير .. وتكلم « عنتر » ملقيا السلام على الأشباح الذين التفوا حوله .

- السلام عليكم ..

وسار فى الاتجاه الآخر .. وأغلقت النوافذ ، وتفرقت الأشباح .. وعاد الشارع إلى أضوائه الشاحبة ، وصمت القبور الذى يتمزق بين لحظة وأخرى .. بنباح الكلاب !!!

●●● عند ما يخنق الزحام الناس ..
والأجساد .. والأنفاس
ويصبح الصمت ضرورة ..
لا بد أن يمزق الصمت
صوت إمرأة !!!

يمين .. شمال .. شمال .. يمين
رقصة جديدة يقوم بها ركاب أحد « اتوبيسات » القاهرة .
الكراسى ممتلئة .. ومكتظة ببعض السيدات السمينات ، بقية
الركاب يقفون رافعين أيديهم كأنهم يستنجدون بربهم ..
ويمسكون بمواسير النجدة ، بنات .. سيدات .. شبان شيوخ
.. عجينة ممتزجة يصعب على العين أن تفرق بين جسد ..
وجسد .. الكل أصبحوا جسدا واحدا .. يتمايل كلما وقف
.. أو سار .. الاتوبيس أو انحرف .. أو « فرمل » ..
يمينا .. وشمالا .. ويمينا . صمت مؤقت ..
يخرس الركاب .. لولا بعض كلمات « الكمسارى » .

- وسع يا افندى .. أدخل .. الدنيا وسع .. تذاكر .. هنا الدرجة الأولى .. تذاكر ..

صفارة الكمسارى .. ترن ..
يسابق « الأتوبيس » سيارت التاكسى ..
والركاب الواقفون .. يمارسون الرقصة ..
يمين .. شمال .. شمال .. يمين ..
ويمزق الصمت المؤقت .. صوت سيدة ..

- قلت لك أبعد يا كلب ..

- أخرس

ـ ياجبان .. بتقرصنى ..

ـ أسكتى ..

ـ ولك عين..

ـ ..

ـ يادهوتى .. الحقونى .. بتضربنى ياقليل الأدب ..

ـ يا .. يا .. يا .. الحقونى ..

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا نعرف ..

ـ هذا الشاب .. يضرب المرأة

ـ عيب .. ياجدع ..

ـ الناس واقفة تتفرج .

ـ آى .. آى .. الدم .. الدم .. يادهوتى ..

ـ سيبى هدومى

ـ أبدا .. أبدا .. الدم .. بتضربنى ياجبان

ـ كلب .. يا .. يا .. الشرطة ..

ـ عيب يا ابنى ..

ـ قطعت هدومى .. غرقتنى دم ..

ـ دمى .. آ .. آى .. يادهوتى

ـ ياسواق .. وقف الأتوبيس ..

ـ لا ..

ـ أذهب إلى القسم .. أقرب قسم شرطة ..

ـ قسم الأزبكية ..

ـ آى .. عضتنى ..

ـ اتأخرنا عن الشغل

ـ الدم ساح على وجه المرأة .. وفستانها ..

ـ وقميص الشاب..

ـ آى .. الدم .. الشرطة ..

« الاتوبيس » يقترب من القسم ..
يقف .. ينزل الركاب .. ما عدا المرأة والشاب .كانت
سمينه كالمصارعين .. سمراء .. منكوشة الشعر ..
مثل « مكنسة ليف » هدها الكنس .. الدم عربد
فى وجهها .. كانت أشبه بغوريللا تعلقت
بشاب رفيع..

هزيل .. اصفر الوجه .. ممزق القميص .. صعد
احد رجال الشرطة .. وجرهما إلى داخل القسم ..

ـ تعالى هنا ياست .. اجلس ياعم احمد اطلب الاسعاف ..

ـ حالا .. ياحضرة الضابط ..

ـ الدم .. آى .. المجرم .. قليل الادب ..

ـ لا داعى للصراخ . . الاسعاف فى الطريق . .
ـ أين المتهم ؟
ـ الفستان كله دم . . والشنطة . . المجرم . . اين . .
ـ لاداعى للكلام . . والصراخ . . اجلسى . . تعالى هنا . . اجلسى
ـ عضتنى ياحضرة الضابط .
ـ الاسعاف؟ . فيه حالة . . !!!
ـ لاحول ولا قوة إلا بالله ... شبان فاسدين . .
آخر زمن . . سايب اليهود . . ويقرص فى الستات . .
شبان ورق . .
ـ مسكين الشباب والله . . إنها غوله . .
ـ صوتها . . سامع . . سرينة بوليس نجدة . .
ـ وانت يا أستاذ أى خدمة . . ؟
ـ أنا كنت فى الاتوبيس ياحضرة الضابط .
ـ شاهد . . ؟
ـ طبعا . .
ـ قلت لك اكثر من مرة لا داعى للصراخ . . ياست . . إلى اين . . ؟
ـ دورة المياه . . لانظف نفسى . .
ـ من هناك . .
ـ يا اسعاف . . فيه حالة مستعجلة . .
ـ لا داعى للاسعاف . .
ـ كيف ياست . . الدم سايح عليك . . لابد من الاسعاف . .

- عضتنى ياحضرة الضابط . . كل الحكاية . . الاتوبيس فرمل . . ايدى لمست كتفها
- كداب . . يامجرم
- اسكتى ياست . . لاداعى للصراخ . .
- أنا كنت فى الاتوبيس . . والشاب برىء
- انت مين ؟ كل الركاب مشوا . . وأنت بقيت . . انت كذاب
- باشهد بالحق ياحضرة الضابط . . أنا لا أعرفها ولا أعرف الشاب .
- لا فائدة معه ياست . . قلت لك . . لاكلام . . إلا فى المحضر . .
- محضر . . لابد من النيابة . .
- يظهر ان الشاب مسكين . .
- لو كانت محترمة . . لما فعلت كل هذا . . وبهدلت نفسها . .
- ستذهبان إلى النيابة .
- انا لا أذهب إلى النيابة . . انه يذهب لوحده . .
- كيف ؟
- إنه اعتدى على . .
- أنت وهو . . ستذهبان إلى النيابة للتحقيق . .
- لن أذهب إلى النيابة . . انه اعتدى على بالضرب . الدم . . الدم . .
- انت دخلت القسم . . لابد أن نقوم باجراءاتنا . .
- كنت ذاهبا للدكتور . . اننى مريض . . هذه هى الشهاده . . انها عضتنى . .
- لابد من حقنه . . ضد التسمم . .
- كداب . . عض نفسه . .
- لاحول ولا قوة إلا بالله . . مسكين الشاب . .

ـ الاسعاف . وصلت ..

ـ أين الحالة .. ؟

ـ أنا تأخرت عن العمل .. فيه شهادة .. اقول كلمتين ـ شهادة أى شهادة ..
انت تعرف المجرم ..

ـ سامع ياحضرة الضابط ..

ـ قلت لك يا ست .. لا داعى للكلام .. والصراخ ..

ـ ياعسكرى ..

ـ افندم حضرة الضابط ..

ـ اذهب .. بالست والشاب .. والاستاذ .. للمعاون

ـ حاضر يا افندم ..

ـ بعد المحضر .. يذهبون للنيابة ..

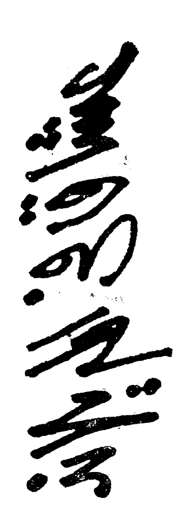
ـ لن اذهب الى النيابة .. انه اعتدى على ..

ـ اذهبى .. ياست .. أمامنا احوال اخرى ..

ـ وانت يا استاذ ؟ ..

ـ انسرقت محفظتى ..

وتحركت المرأة .. وخلفها الشاب .. والشرطى الى حجرة اخرى .. وصوتها يغطى على كل الضوضاء .



●●● كلامك حلو يا مضروب ..
لـكن لا ينفع مع الزلط ..
- ما فى القـلوب أقـوى من
الطوب والزلط .



بجوار عمارة المريلاند ذات الطوابق العشرين ، كانت هناك خلية نحل .
عشرات من العمال والعاملات ، اختلطت أغنياتهم بأصوات ماكينات خلط الأسمنت بالزلط . وعربات الرمال التى تفرغ حمولتها ، والجرارات التى تحمل قوالب الاسمنت بعد الانتهاء من صنعها . وأصوات سيارات الشحن الكبيرة التى تفرغ الزلط والحديد . كل هذه الأصوات تتشابك مع بعضها تلقائيا وكأنها سيمفونية .. والمايسترو .. هو إحساس الجميع بأنهم يسابقون الزمن . كان الوقت الواحدة صباحا . ومع ذلك كانوا يعملون تحت أضواء اللمبات والكشافات الكهربائية ، وينقلون ، ويتحركون ، ويغنون وكأنهم فى حفل راقص ، ينافس الموسيقى ، والرقصات الدائرة فى كازينو المريلاند الملاصق لهم.
وكانت حركات العاملات الثلاث .. وهن يحملن كميات الأسمنت والزلط فوق رؤسهن ، ويجرين نحو القوالب الفارغة ، ويضعن فيها كميات الزلط والأسمنت كانت تلك الحركات .. رقصات طبيعية ، وبالرغم من الذهاب ... والاياب .. مراراً وتكرار كانت الابتسامات مرتسمة على شفاههن ، حتى ضحكاتهم جميعا .. العمال والعاملات كانت كأنها نغمات أصيلة .. نابعة من وجدانهم ، دون أى تكلف . وحتى همساتهم بينهم وبين بعض يخيل لمن يشاهدهم .. أنهم عشاق .. ولكنهم عشاق من نوع آخر يختلف عن عشاق المريلاند .. الغارقين بين أنغام الموسيقى ورقصات المتوهين .

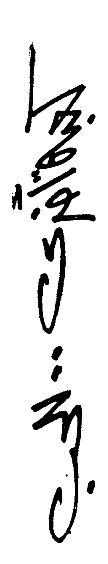
ووقفت احدى الفتيات العاملات ، التى ارتدت جلبابها الأسود الطويل، تنتظر دورها فى ملء «القصعة» بكمية الزلط والأسمنت وجاءت خلفها زميلتها :

- نبوية .. أتعبت ؟
- أنا .. أبدا ..
- ولماذا وقفت ؟
- أنظر إلى أنوار الكازينو ..
- ياعينى .. مالنا .. وأنوار الهباب ... النور عندنا أحسن ..
- أنا لم أقل شيئا .
- لا تسرحى يانبوية .. هيا .. لقد إمتلأت القصعة
- إنها كمية صغيرة يا عويس .
- حتى لا تتعب رأسك الجميل .
- عويس ..
- ماذا جرى يانبوية .. ؟
- ضع قليلا من الأسمنت .
- لا أستطيع ... المرة القادمة .
- إن القصعة فارغة
- إنها مملوءه يانبوية .. المرة القادمة .
- هيا يانبوية .. دعينى أملأ قصعتى .
- بسرعه .. بسرعة .. لا يوجد وقت
- عندك حق .. هيا لابد أن نسبق اليهود .
- يا اسطى محمود .. لابد أن ننتهى غدا من مهمتنا

ـ حالا ياباشمهندس .. حضرتك واقف معنا وترى كل شيء ..
ـ أكثر من الفين قالب جهزناهم لقاعدة الصواريخ القريبة .
ـ لا بد أن نكمل الألف الثالثة .. عندنا موقع آخر ..
ـ والناس بدأت تسأل كثيرا عما تفعله .
ـ حالا ياباشمهندس .
ـ يا ليل يا أبيض يامنور ..
ـ كفى .. هل هذه أغنية ..
ـ لا .. بداية موال ..
ـ أى موال ..
ـ موال من القلب يانبوية ..
ـ عويس .. أملأ القصعة .. ولا داعى للكلام .
ـ لابد من الكلام يانبوية .. ولابد .. ولابد .. أن نحلم معا فى عشنا الجميل
ـ لما يرجع أخى من الجبهة .
ـ القصعة ستقع يانبوية من فوق رأسك ..
ـ أبدا .. أنظرى يابت .. هناك .
ـ أين ؟
ـ بجوار سور المريلاند ..
ـ آ .. أثنان .. بنت .. وبنت بينطلون ..
ـ يا عبيطة .. ولد بينطلون .
ـ ولد ؟
ـ يقولون .. اسمهم خنفس ..

ـ خنفس !!!
ـ وحاجات تانية ..
ـ لا أفهم يانبوية .
ـ أحسن يابت .. دعينا فى حالنا ..
ـ عابط البنت .. يانبوية
ـ دعينا فى الزلط يابت ..أحسن..
:
ـ آه ياليل .. يامنور .. آه يابلد ..
ـ عويس أملأ القصعة .. وكفى أغانى ..
ـ يا نبوية .. أنا لا أغنى .. انهـا مواويل .. والمواويـل من القلب ..
وبقلوبنا نعيش ..
ـ كلامك حلو يا مضروب .. لكن لا ينفع مع الزلط .
ـ ما فى القلوب أقوى من الطوب والزلط .
ـ املأ القصعة ..
ـ آه .. ياليل .. يامنور .. آه يابلد !!

وعلا صوت آلات طحن الزلط .. فوق الموسيقى المنبعثة من المريلاند ، وعلا صوت عويس ، بمواويله ، ونبوية وعلى رأسها القصعة المليئة بكميات من الأسمنت والزلط ترقص فى خطواتها المسرعة .



●●● يمكنك أن تشترى أى شيء
إلا الحب ..
لأنه قدر ..
وطوفان
تصاب به القلوب العاشقة
فقط !!!



كانت السيارة منطلقة بأقصى سرعتها بحذاء البحر الهادىء بلونه الفاروزى الساحر . . متجهة إلى « حريصاً » بلبنان . وهى مكان يرتفع عن سطح البحر بمئات الامتار ... وعلى رابية أقيم تمثال رائع أطلقوا عليه اسم « سيدة لبنان » . ووصلت السيارة إلى محطة « التلفريك » ونزل من السيارة مجموعة من الشبان والفتيات . . الذين جاءوا للسياحة ، والفرحة مرتسمة على وجوههم ، وضحكاتهم لا تخفت أبدا ، بل تتزايد وتتراقص فى هذا الجو البديع . وصعد كل أربعة منهم فى تليفريك » . وبدأ الموكب المعلق فى الصعود . وتعالت ضحكاتهم ، وصراخ الفتيات خوفا من هذه اللعبة التى تشبه الصندوق . . وهى تتحرك ببطء صاعدة إلى أعلى . . وتتضاءل البيوت ، والناس ، والسيارات والأشجار ... حتى البحر . . بدأ كأنه لوحة ساحرة . . يعجز أعظم الفنانين عن تصويرها . وفى « التلفريك » الأحمر . . كان يجلس أمرأتان . . وشابان . وقد أمسك كل منهم بالمقعد خشية السقوط من هذا الارتفاع الهائل ، وتعلقت الكلمات أيضا فى أفواههم . . خشية أن تتدحرج . . وتهوى هى الأخرى . وزاغت أبصارهم فى هذه الألوان . . الأشجار الخضراء . . والسماء الزرقاء ... والأراضى المزروعة بالخضرة . . كانت منسقة فى روعة . حتى الفيلات الصغيرة ، وأسطحها الحمراء . . كانت كلمسات فنان . . سقطت منه قطرات حمراء

من فرشاته بوسط هـذه الخضرة المتلونة ، من خضرة مشوبة باللون الأصفر ، وخضرة دكنــــاء ، وخضرة مزينة بورود حمراء .. وبيضاء . حتى المراكب ، واليخوت .. بدت وهى تشق صفحة البحر الهادىء .. كأنها لعب صغيرة .. يتسلى بها الأطفال . وضاعت كل الأصوات .. ما عدا أسلاك التلفريك .. وهى تحتك ببعضها . ونسى كل واحد منهم نفسه ، وشدته هـــذه الطبيعة الساحرة بكل ما تملك من سحر ... ولكن كلماتهم مزقت هذه الصلاة الطبيعية .

سمير : نادية ... ماذا حدث .. تبكين ؟؟

نادية : إننى ضعيفة .. لا أحتمل هذا الجمال ...

فدوى : هكذا بسرعة .. تتسرب دموعك ....

نادية : لا أستطيع يا فدوى .. كلما رأيت جمال الله .. فى هذا الوجود .. تبدأ دموعى تتنفس ...

فدوى : أننى أكثر منك حساسية .. ولكننى مذهولة فقط

سمير : يا جماعة .. حسنى سكت .. معجزة .. ماذا حدث لك أنت أيضا .. أين نكاتك .. قفشاتك .. لا بد أنك خائف ....

حسنى : أننى كالمحروم .. الذى وجد نفسه فجأة فى جنة رضوان مليئة بالتفاح والفواكه . فتوقفت معدته عن كل شهوة أكل ..

فدوى : ياسلام ......

سمير : هات من حكمك .. هات .. يا أبو الكلام ...

حسنى : الآن فقط .. تستطيع أن تحس ... بالعصفور المسجون فى قفص

سنوات .. وفجأة تفتح له باب القفص .. باب الحرية ...والجمال .. تجده لايتحرك .. من عنف الفرحة .. وأحيانا يصاب بصدمة قلبية .. حتى إذا طار واحتضنته السماء لا يجد جناحيه ...

فدوى : بالعكس .. إن قلبه ينبض بكل قوة .. يكفيه أنه أصبح حرا فى أحضان الجمال ..

نادية : أنا مع فدوى .. جمال الطبيعة .. يغسل القلوب من حياتنا المزيفة .. وسط الزحام ..

سمير : فقدت نفسى بين كلماتكم أيها الشعراء .. آه لوسمعكم الشعراء .. لكفروا بالشعر طول حياتهم ...

نادية : يا سلام .. على الطبيعة .. إننا محرومون..حتى من حب الجمال ...

حسنى : فعلا .. ضاعت أحلى أيامنا فى لبنان .. فى الأسواق .. ومرسق .. والطويلة .. والحمراء ... لعنة الله عليكم ...

سمير : لعنة الله عليك لانك تحاول أن تتفلسف..دعونا من هذا الكلام الفارغ .. لقد وصلنا ..

وقفزت المجموعة من « التلفريك » واستقبلتهم نسمات هواء باردة وشعرت فدوى بقشعريرة برد تسرى أوصالها، فاصطكت أسنانها لحظة . ولاحظ حسنى ذلك ، فخلع السويتر الذى كان يرتديه وأحاطه بكتفها . فامتنعت ، قائلة :

فدوى : لا أريد ياحسنى .. ستبرد ...

حسنى : فداك .. يافدوى ...

فدوى : متشكرة .. لا أشعر بالبرد .. ولكن المكان هنا مرتفع ...

حسنى : أننى أشعر بالدفء . . (ومال على أذنها هامسا) . . وأنت بجوارى ...
سمير : ماذا يقول لك أبو الكلام . . دعيه يموت من البرد ...
فدوى : لا يهون علينا ...
نادية : وأنا مع فدوى . . فى هذا المكان . . لا يوجد شىء اسمه الموت . .
سمير : شفاعة لك من أحبة الخال . . أنت محظوظ ...
نادية : الله . . غير معقول ...
سمير : ماذا حدث لك ...
نادية : تمثال للعذراء . . كيف نصعد اليه ...
حسنى : هيا بنا نصعد بالتليفريك الآخر ...
نادية : فعلا . . كيف ضاعت أيامنا فى لبنان . . ولم تحضر إلى هنا . . قبل ذلك . . يارب . . وهذه الكنيسة أيضا ...
سمير : دموع أمرأة أخرى . . أكيد أنا مع مجموعة مجانين ...
فدوى : سمير . . لابد أن تحترم أحاسيس الآخرين ...
سمير : طبعا . . الجنس اللطيف يدافع عن نفســـه . . ألم نحضر إلى هنا للفرفشة . . والضحك . . لماذا الدموع . . هه . . لماذ ؟؟؟ ...
نادية : سأدخل الكنيسة لأصلى للعذراء ...
سمير : انتظرى بعد أن نتصور مع المجموعة . . لقد حضرت بقية الفرقة ...

وتسللت نادية إلى داخـل الـكنيسة ، بعد أن أشعلت شمعـة ، لتضيئها بجوار الشموع المضيئة . بينما ملأت مجموعـة الشبان المكان ، وتفرقوا هنـــا ، وهناك . ووقفت مجموعات منهم لتلتقط بعض الصور التذكارية . والبعض الآخر صعـد السلالم

التى لا نهاية لها حول تمثال « سيدة لبنـان » إلى أن وصـل إلى القمة .. تحت قدمى التمثال الضخم حيث تجمع أناس كثيرون فى تلك المسافة الضيقة جدا ، ليضعوا شيئا للذكرى عند العذراء .. وكأنهم حجاج فى كعبة أخرى .. للحب .. والصفاء .. وفلتت قـدم فدوى ، وكادت تسقط من فوق الدرج ، لولا أن حسنى كان وراءها فاحتضنها ، والتصق خدها بخده .. فى لحظة خاطفة .. فأمسك ذراعها ، وصعد بها بقية الدرجات .. وأنفاسها .. تكاد تتقطع من هذا العلو الشاهق . وقالت له :

فدوى : متشكرة ......

حسنى : لم أفعل شيئا .. أستنشقى الهواء .. فهنا أجمـل هواء فى العالم .. وأنظرى حولك .. أنظرى إن بقية المجموعة كالنمل .. وهذه النملة الصغيرة ...

فدوى : أين ؟؟

حسنى : هناك .. أرأيتها ...

فدوى لا أراها بوضوح ...

حسنى : إنه سمير .. تائه فى دوامه ضحكاته ...

فدوى : يبدو أنه سعيد ...

حسنى : يبدو .. ولكن ربما كان يهرب من شىء ...

فدوى : لماذا تعتقد ذلك ؟؟

حسنى : لا أعتقد .. بل أظن .. أن كل واحد منا يحمل همومه .. ولكن السعيد حقا .. هو الذى يحاول أن يرميها كلما كان فى مثل هذا الجمال

.. والصفاء ...

فدوى : (ضاحكة) ياسلام .. لهذا سموك أبو الكلام ...

حسنى (يضحك) .. أبدا .. سمونى هكذا .. لأننى فعلا .. لا أتكلم ..
لكن هذا الجمال ...وهذه الخضرة .. والسماء الزرقاء التى تلفنــــا فى
حضنها .. لابد أن تفك لسان الأخرس وتجعله ينطق ...

فدوى : (بحنان) معك حق ...

وأخـذ بيدها ، وتشـابكت أصابعها ، فضغطت على أصابعه ، ونظرت اليه ، وابتسمت ، فرفع يدها إلى شفتيه وقبلها فى غفلة من الزحام ، حول السلالم . والتصقت به ، وهما يشقان طريقهما لها فوق السلالم الحلزونية . والتصق بها . فكاد يحضنها ، ولـكنه ضغط على أصابعها فى حنان . وابتسم لها . . ولفهما الصمت . . وهما يهبطان هذا الدرج الطويل .

وقادتها ساقاهما إلى هذا المـكان الجميل ، وقد سطعت الشمس ، وأرسلت أشعتها الدافئة . فأحست فـدوى بالحرارة وأحـاط حسنى خصرها بذراعه ، وكذلك فعلت هى . وسارا فى الطريق الجبلى المرتفع ، لا يتحدثان ، بل كانا يصليان فى محراب الحب .. فى صمت . والسيارات تمرق بجوارهما ، كنسمـة عابرة ، حتى عيون الآخرين التى كانت تشل أى حركة من حركاتهما .. قد نمست فى تلك اللحظات . واقتربا من أحـد الباعـة ، كان يبيع بعض الصور ، والألعاب الصغيرة وأشياء صغيرة مختلفة . ووقفا عنده . وراح حسنى يبحث فى الأشياء الموجودة عنـد

البائع . والتقت نظراته بخـــاتم جميل . فالتقطه ، وأمسك بأصابع فدوى ، وقبل الخاتم ووضعه فى أصابعهـا . ولم يترك للبائع فرصة للمساومة ، وقال له :

ـ ليس معى إلا ليرتين .. هما كل ما معى ...

وتسمر لسان البائع فى حلقـة ، أمام نظرات الحب التى تملأ عينى الشاب والفتاة . واستمرا فى المسير .. خطوة .. خطوة ولم تقل فدوى شيئا حتى كلمة شكر . بل ضغطت على وسط حسنى بحنان، وأحاطها بذراعه، وسارا .. لايسمعان شيئا سوى دقات قلبيهما أو خيـل اليهما ذلك . ورأى حسنى ممرا من الدرجـات الحجرية تحفه مجموعة من الأشجار... والزهور .. وهبطـــا الدرجات . واختار مكانا هادئا وجلسا فوق السور الحجرى . وكانت أمامهما ثلاث شجرات كبيرة ترفرف بأوراقهـا ، فتلقى ظلا خفيفا عليهما . ومنظر البحر تحتهما كأنه حمام سباحة .. واقترب حسنى من فدوى .. ونظر اليها . ثم انحنى عليهـا وقبلهـا قبلة حنون تحمل كل المشاعر ، والأحاسيس .. ولكنها قالت ..

ـ أرجوك .. كفى .. أنت تعرف أنى مرتبطة برجل ..

ـ أعرف .

ـ والذى تفعله .. أتراه صوابا ..

ـ صواب .. وخطأ .. هل فى هذا الخراب أيضـا .. نتناقش فى الصواب والخطأ .. أننا فى الجنة .. والانسان لن يحيا عمره إلا مرة واحـدة .. ولم نفعل شيئا ..

ـ ولكننى مرتبطة ..
ـ هل تحبين ذلك الرجل ؟؟؟
ـ ولكنه يحبنى .. وارتبطت به .
ـ ... هناك .. تحت .. انظرى .. ان الآخرين يبدون كالنمل ..
وعندما نكون معهم ... نصبح مثلهم .. أرانب .. لا شىء أكثر من
ذلك .. ولكننا هنا .. فى أجمل مكان ..
ـ ولكن لا أستطيع أن أفعل شيئا ..
ـ لم تجيبى عما سألته .. هل تحبينه .. أشك فى ذلك !!!
ـ وكيف عرفت ؟؟؟
ـ لأن حياتنا الزائفة لا تجعل الرؤية واضحة إلا بعد فوات الأوان . ثم اننا
نحيا بلا معرفة واضحة .. بلا إرادة ...
ـ كيف ؟؟؟

وسكت حسنى لحظة ، ونظر الى فدوى ، فوجد عينيها ملأى بالدموع . فاقترب منها . وتلاصقت شفاههما . واحتضنها ، وغابا لحظة فى نشوة صافية .. وسمعها وهى تهمس له :

ـ أحس أننى سأطير .. لا تتركنى .. اضغط على ..

وأخذها فى حضنه . حدث هذا فى غمضة عين .. وساد الصمت بينهما لولا صوت عصفور جبلى . كأنه أجمل سمفونية تعزف فى هذه اللحظة . وأمالت رأسها فوق قلبه . وأحاطها بذراعيه . وراح يداعب شعرها بأصابع يده اليسرى . وظلا

هكذا لحظات . كلها نشوى ودفء .. وكانت تحاول أن تختبىء فى صدره ، وقد أحاطت وسطه بذراعيها . لتتأكد من أنها تتنفس تلك اللحظات .. لا فى حلم أو خيال .. بل فى هذا العالم الخفى .. ولكنها سمعا صوت ارتطام بعض الاحجار المتساقطة . فتبينا أنها من بيت ليس ببعيد يتم بناؤه ووقف حسنى . وقد فتح ذراعيه ، وراح يملأ رئتيه بالهواء .. ويقبل الهواء .. قائلا :

- كم أنت جميل .. ياالهى ......

وضحكت فدوى .. وقالت :

- تقبل الهواء .
- بل ارسل قبلة الى الله ...
- هكذا فى الهواء ...
- عندك حق . . لابد ان ارسلها له بالمستعجل . . هكذا . . .

واقترب منها . . وقبلها قبلات حنون فى خـــدها ، وتحت عينيها . . وفى رقبتها . . وقبلته هى الأخرى .. وابتسمت، ونظرت اليه ، نظرات هى الحب ذاته . ووضع يديه فى جيبى سرواله ونظر اليها متأملا عن قرب وقال :

- لم أكن أتخيل .. أننى أتصرف هكذا كالمراهقين ... كأننى أرى امرأة لاول مره .. ولم يبق إلا أن نكتب اسمينا فوق هذه الشجرة .. لنكون كالاطفال ...

ـ ولماذا لا تفعل ... ؟

ـ وهو كذلك . . ماأجمل أن يعود الانسان الى طبيعته ... ولو طفلا . .
انى لم افعل هذا وانا مراهق ...

وظل يبحث عن شيء حاد ، ليحفر أسميهما فوق الشجرة . . فأعطته قطعه حديديه صغيرة وجدتها بجوارها . واقتربت منه، والتصقت به من خلف ظهره . وهو يكتب فوق الشجرة وطلب منها أن تشترك معه فى الكتابه ، فكتبت الحرف الاول من أسمه . كان يعاكسها بأن يجذب يدها من فوق الشجرة ، وكانت تطلب منه فى دلال أن يتركها لتكتب . وعندما انتهت من الكتابه امسك بكفها الايمن . وأخفى فيه شفتيه ، وراح يقبله . فانحنت هى الاخرى . وقبلت يدة . ونظرا لبعضهما والسعادة تشع من عينيهما ، ثم راحا يضحكان ، وبدآ يصعدان السلالم . وفى كل سلمة يصعدانها يقبلها . . وقال لها :

ـ لماذا لانكون هكذا ...

ـ ماذا تعنى ؟؟

ـ أن نحيا لحظتنا . . وكفى مامر من أيام . . ولا نعلم مافى الغد ...

ـ إننا الان نحيا معا ......

ـ وبعد الآن ؟؟

- دع هذا للغد .....
- لكن الغد .. لابد أن يكون ثمرة اليوم ...
- قد تكون هناك مفاجآت ......
- عدنا الى الغد ...
- الم تؤمن به ؟
- آمنت به .. وأنت معى؟؟؟
- ياحياتى ...
- منذ الآن فقط ...

وقبلها قبلة خفيفه على خدها . وضغطت على أصابعه بحنان . فنظر إلى أصابعها . ورأى الخاتم الذى وضعه فى أصبعها منذ لحظات ، فقال لها .

- لقد ولدت الآن .. أرجو ألا تخلعى الخاتم من أصبعك ......
- وهو كذلك ..
- هل هذا وعد ؟؟
- أعدك .
- إنه يحمل قلبا .. وحبا .. وليس رمزا لعملية شراء .. مثل دبلة زواجك ...
- حسنى !!!
- لا داعى لأن تتذكر تلك الأيام ...

وضغطت على أصابعه ، وابتسمت له ، وصعدا إحـــدى الدرجات ، ووصلا إلى الطريق العام ، وهـــو ما زال يلف خصرها بذراعيه ، والشمس .. تبعث بأشعتها الدفء فى الطبيعة ، ونظرا خلفهما لحظة ... يمتعان نظرهما .. بذلك المكان .. الذى كانا فيه .. كان أشبه بكعبة .. أخرى للحب .. وسارا خطوة .. خطوة .. إلى حيث لا يريدان أن يذهبا ..



●●● عند مايكون الانسان فى
قمة السعادة ..
يحس دائما إلى لمسة حزن
ليحس فيها بقيمة
هذه السعادة !!



●●● لحظات الحب الحلوة . . قصيرة جدا ولكنها تعطى عمر الانسان شبابا دائمـــا . وتجعله ينظـــر إلى الدنيا . . كأنها الحب مجسمـــا والمغفلون هم الذين لايرتشفون من لحظات حبهم رحيق السعادة . . لأن العمـــر قصير جدا ! .

وتوقفت « نادية » عن قراءة بقية الكلمات التى كتبها حبيب قلبها « أشرف » فى مفكرته التى تركها لها تقرأ ما سطره فيها . لكنه .. أين هو الآن .. انها لم تره هذا الصباح فى مكتبه . انه مشغول فى مهمة خارج مكتبه . وقد تأخر كثيرا .. إن قلبها يدعو له كل يوم بالنجاح .. فقد عاشت حياتها سنين طويلة ولم تدر طعم تلك السنوات ، رغم زواجها ، وانجابها ثلاثة أطفال .. الاعندما التقت بأشرف .. أو بمعنى أصح .. عندما استيقظ قلبها على لمسات حب حانية كلها وفاء وحنان .. من قلبه ولمسات يده ، ورحيق شفتيه . عندئذ .. تفتحت عيناها لأول مرة على الحياة .. وهرعت اليه ، بكل هواها العطشان ، تلتمس فى صدره ، وفى شفتيه كل الحب .. والحب كله .

ومرت الساعات .. بطيئة ، ولم يأت . ولملت أشياءها من فوق مكتبها ونظرت إلى ساعتها ، فلمحت الخاتم فى اصبعها .. انه ذلك الخاتم البسيط جدا الذى وضعه فى اصبعها .. رمزا لشرارة الحب التى لسعت قلبيهما . ولذلك فهى حريصة عليه .. كل الحرص .. لتثبت لنفسها أن تلك الايام التى تحياها فى سعادة

وحب .. هي لحظات حقيقية .. وليست وهما .. وأخذت حقيبتها ، وخرجت فرت بمكتبه . كان الباب مفتوحا ، ومكتبه خال ومظلم . لم تلاحظ ذلك الظلام عندما كانت تراه جالسا على مكتبه . الأشياء هي .. هي .. لكن نظرتنا اليها تختلف نتيجة للأحاسيس التي تضطرم في نفوسنا ، وخرجت من مبنى العمل ليبتلعها ضجيج الشارع المزدحم بالسيارات ، والنـاس . وتمنت لو تره فقط . لقد اشتاقت اليه ، وان قلبها المحب يشعرها بأنها ستراه .. آه لو تحقق ذلك .. لآمنت فعلا بتلك الخرافات التي تقول ان بين القلوب المحبة .. ارسال واستقبال. وأن هناك حاسة خاصة لايشعر بها إلا المحبين .. يحسون ببعض ولو ابتعدت أماكن وجودهم ولم تصدق عينيها .. لقد رأت « أشرف » قادما، من أول الشارع الصغير.. مسرعا .. وابتسمت .. وخفق قلبها بشدة ، وكأنها تراه لأول مرة . وغابت يدها في يده الدافئة .. وقال لها :

- أين كنت ذاهبة ؟
- انتظرتك طويلا .. وقلت انك لن تأتي
- مستحيل .. لابد أن أحضر .. إلا اذا ..
- لاداعي للأفكار السوداء .. أرجوك
- كل يوم .. تزدادين جمالا ..
- أشرف .. ماهذا الكلام ..
- انني أعشق اللون السماوي .. انه يذكرني بأجمل مكان .. قريب من الله ..
- سأذهب الى البيت .. لأنني تأخرت .. هل انتهيت من أعمالك كلها
- كلها .. إلا قليلا ..

ـ لا أريد أن أعطلك ..
ـ ماقيمة الاعمال بدونك يا « نادية » .. دعينا من العمل .. أنى جئت مسرعا لانني أعلم أنك فى انتظارى .
ـ سأتركك لتتم أعمالك ..
ـ تصورى كم كنت سأحزن .. لو لم أرك ..
ـ أشرف .. دعنا نبتعد من هذا الشارع ..
ـ وهو كذلك .. هيا .

واستقلا سيارة أجرة ، انطلقت بها تتلوى بين مئات السيارات التى تزحم الشوارع . وأراح يده خلف ظهرها . وضمها إلى قلبه برفق وحذر . ولمس خصلات شعرها . فأغمضت عينيها نشوى . وقال :

ـ ليتنى آخذك فى صدرى ..
ـ أشرف .. السائق .. والناس
ـ اننى لا أرى أى ناس .. وأنت بجوارى ..

وتشابكت أصابعهما . وضغط على أصابعها ، وتعانقت نظراتها المليئة بالكثير من الكلام ، لكن الكلمات نامت فى عناق نظراتها .

ولكنها تذكرت شيئا ، وهو أنها ينبغى أن تزور احدى قريبات زوجها لان عائلهم قد توفى . ورفض أشرف أن يتركها . فتركا سيارة الأجرة ، واستقلا المترو للذهاب الى أطراف المدينة . وقال :

- غريبة . . ومعجزة
- أية معجزة ! !
- هذا المترو الخالى . . انه طائرة خاصة صنعت لنا . . نعبر بهـــا طريق حياتنا . .
- ياحبيبى . . ماهذه الشاعرية . .
- ليست شاعرية . . ولكنها نبضات قلبى . . الحقيقية .
- أحب أن أراك سعيدا . . يا أشرف . . سعيدا جدا . .
- وأنت بجوار قلبى . .

وانحنى على شفتيها ، وتلامست الشفتان فى لحظة سريعة ، لكنهـا كانت حافلة بكل المشاعر والاحساسات . . والرغبات أيضا . وأحسا أنهـا يطيران فى فضاء واسع ، لاحدود له،ولا عيون للرقباء والمتطفلين هناك . . وقال :

- الكلمات تفلت من تحت لسانى . . لاأجدها لاعبر عن سعادتى . .
- أريدك سعيدا . . دائما . . ودائما . .
- شيء واحد أتمناه من الله
- ما هو ؟
- ألا يحرمنا من بعض . .
- اننى بجـــوارك
- أحمد الله . . ولكننى أتذكر القيود التى تربطك . . وتربطنى . .
- ألست سعيدا الآن . .
- اننى بجـوارك

- أحمد الله .. ولكننى أتذكر القيود التى تربطك .. وتربطنى ..
- ألست سعيدا الآن .. ؟
- جدا ..
- يكفينا هذا من الدنيا ..
- وأنت ؟
- مثلك تماما .. وأكثر .. هيا .. لقد وصلنا الى المحطة .

واحتضنت ذراعه فى نشوى ، فضم ذراعها إلى قلبه وضغط برفق عليها ولم تنبس إلا بكلمة «الله» وسارا ، ولم يشعرا بأحد ، ودخلا العمارة الكبيرة وطلبت منه أن ينتظرها قليـــلا ، فوافق على أن يوصلها « بالأسانسير » وتوقف بها « الأسانسير » ودق جرس الانذار .. ولم يسمعه أحد وظلا معلقين .. مدة ليست بالقصيرة .

- آه لو نموت معا
- انها أمنيتى ياحبيبى .. ولكن ليس هكذا
- المهم .. أن نلتقى بدون حرمان .. بدون خوف
- اننى سلمت أمرى لله
- فعلا .. أنى أحب الله .. لأنه جمعنا بعد هذه السنين الطويلة .. وبعد التجارب الكثيرة التى مررنا بها .. ولكن
- كفى كلاما .

وسمعا أغنية من راديو صغير .. تشدو فيها المطربة قائلة .. وتسينا الدنيا .. ياحبيبى .. نسينا الدنيا .. وتاهت بقية كلمات الأغنية ، عندما تحرك «الاسانسير»

فقد سرى فيه التيار الكهربائى

- سأنتظرك .. فلا تتأخرى يا ناديه ..

وانفلتت من الباب مسرعة . وبقى خارج العمارة ينتظرها ، متلهفا .. وكانت الدقائق تمر ، وكأنها سنوات .. الى أن رآها قادمة .

- لقد تأخرت ..
- كنت مضطرة الى أن أواسيهم .
- ولماذا أنت حزينة .. ؟
- لاداعى للكلام ..
- ناديه !! ماذا حدث ؟
- لاشىء ..

وضغط على يدها .. ورفع كفها الى شفتيه ، ليطبع عليه قبلة حانية حارة ، وابتسمت .. وقالت :

- قبلنى ..
- هكذا ..
- أتخاف الناس الآن .. ونحن فى الشارع؟!
- لايهمنى الناس .. ولكنى أخاف عليك ..

ولمس شفتيها بشفتيه بسرعة :

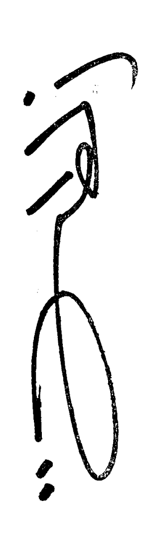
- لعنة الله على العيون .. ان مانفعله لايمكن أن ترويه « الحكايات » ..
- ليتنى لم ..
- لم تحبنى .. أليس كذلك .. ان الحب يجعل المستحيل ممكنا .
- والحب .. لايجرح .

- طبعاً
- لكنك جرحتنى ..
- انا ؟ !! .. ليخسفنى الله .. لو لمستك بخدش صغير .. لكننا التقينا بدون خوف .. فى أجمل لحظة حب .. وكل لحظاتنا هى قطرة من أنقى نبع للحب ..
- هكذا !!
- عندما تأخرت .. أحسست اننى لم أرك .. وانتابنى احساس غريب بأنى قد فقدتك
- واذا حدث ! ؟
- أصبحت يتيما .. وعدت الى المقبرة ..
- انك تعذبنى .. يا أشرف
- أحلى عذاب .. وأمر عزاب .. لأنه حب حقيقى .. ولقد ولدت الآن .. لكن .. لماذا أنت حزينة ..
- لا أدرى !!
- عندما يكون الانسان فى قمة السعادة .. يحن دائما إلى لمسة حزن ليحس فيها بقيمة السعادة .. أرجوك .. لاتجعلينا نعش لحظة حزن واحدة .. كفى ما مر من أيامنا .. ولاندرى ماذا تخبئه الليالى ..
- ....
- نادية .. !! ما هذه الدموع .. أرجوك .. لا أريدك حزينة وأنا بجانبك .. اننى معك .. لابد أن نحيا حبنا دون حرمان .. انه أغلى حب فى عمرنا ..

وغطى ضجيج « المترو » على كلماته وابتلعها زحام الناس ، وهم يصعدون وانطلق « المترو » مسرعا كالصاروخ ، وقد لفهما الصمت !!!



وانحنى على شفتيها ... وتلامست الشفتان فى لحظة سريعة ،
لكنها كانت حافلة بكل المشاعر والإحساسات ...
والرغبات أيضا . (لحظة حب)



●●● وحمل كل شيء ..
ونظر إلى الأرض فوجد ..
الزلطة المكسورة ..
فركلها برجله .. ثم سار ..
وهو يتمتم ..
يا كريم ..

تعليق من تيمور :

« .. لقد طالعتنى مجلة « الأديب » اللبنانية ، بقصة جديدة لك ، أسميتها « زلطـة » وهى فى الحق « لؤلؤة » وإذا كانت الزلطة من الأحجار، فان من الأحجار ما هو حجر كريم . حقا إنى سعدت بقراءة قصتك هـذه واسترعى انتباهى منها ، انها ـ على دقة حبكتهـا الفنية ، وسلامة سياقها القصصى ـ تمتاز بما هو أثمن من الحبكة، وأعلى من سلامة السيـاق .. ذلك هو إنسانية الشخصية التى تتحرك فى إطار القصة ، وإنسانية الموضوع الذى احتوت عليه .

ولقـد تجلت براعتك فى إثارة الاشفاق على البؤس فى صورة من صوره ، وفى إبراز نفسية المجتمع ـ على اختلاف نماذجه ـ فى مواجهة ما يشهد من نكد الأشقياء والتاعسين . ! !

(محمود تيمور)

الأديب – البيروتية – ابريل ١٩٧٢

وتراجع الناس الكسالى بوجوهم الى الوراء قليلا ، خشية أن يصابوا برذاذ اللهب المتكرر المنبعث من فم ذلك الرجل العارى الصدر، وهو يقدم ألاعيبه البطولية أمامهم. وكان الرجل يقوم بعدة حركات بهلوانية ، ويرتمى على الزجاج المهشم ، ويجعل أحد المارة يقف على بطنه ، ويصرخ فى الذين تسمروا فى الكراسى أمامه .. على القهوة ليشاهدوا براعته ، وتضايق الرجل لانشغال الكثيرين عنه ، فترك الالعاب العادية، وملأ فمه بقليل من (الكيروسين) وأشعل عدة الشغل ، وبكل مافى صدره من مرارة ، أطلق رذاذ الكيروسين من فمه على عدة الشغل المشتعلة ، فأحدثت ذلك اللهيب ، وتنبه بعض الكسالى ، ولكن أحدهم قال له :

- حاسب ياعم تحرقنا .

وبصوت متحشرج رد عليه الرجل العارى الصدر :

- سليمة يابيه ان شاء الله

وراح يكرر المحاولة مرة تلو الاخرى بينما كانت السيارات والعربات وسيارات الاتوبيس .. تمر من جانبه مسرعة ، والمارة يتأففون من الرجل لانه يسد جزءا من الطريق المزدحم . والشمس تسقط أشعتها الحارقة فوق رؤوس

الناس ، فتذيب من نفوسهم قطرات الصبر . وميدان المنشية ، مشتعل بالحركة والناس والسيارات ، وبلهيب مرارة الرجل العارى الصدر . وصاح بعد انتهائه من لعبة النار :

ـ شوف ياحضرة أنت وهو .. لعبة الزمان .. لعبة عم زلطه ..

وانحنى الرجل الذى جاوز الخمسين وان كان يتمتع بأطلال قوة شبابه . ومد يده الى جوال قديم ، وأخرج بعض قطع الزلط الكبيرة ، وقذف بها الى الارض قائلا للناس الجالسين أمامه على القهوة :

ـ شوف ياحضرة .. اختار أى زلطة تعجبك .. وأنا أكسرها بأيدى .. أروميها يمكن تكون مكسورة ..

وعندئذ التفت الرجل إلى شابين كانا يلعبان الطاولة منذ مدة وقال أحدهما للآخر :

ـ لا فائدة .. لن يستطيع كسر الزلطة .. هل ترى ماذا سيفعل ؟ .
وقال زميله : لاأعرف ياخبير .
ـ سيقوم بعملية نصب .. سيمر على كل واحد فى القهوة ويطلب منه قرشا .. ويلم الزلط .. ويرحل ..

ـ انها وسيلة لأكل عيشه .
ـ ماذا فعل ؟

ـ أنظر اليه .. لترى .. العرق يسبح على صدره العارى .. وفتات الزجاج المهشم ملتصق بظهره .. والكيروسين يسبح من فمه ..

ـ بهلوان .. دعنا منه .. العب .. وارمى الزهر ..

ـ دبش ..

وصاح الرجل ، وهو يمسك بزلطة كبيرة .

ـ شوفوا ياحضرات .. لما أكسر الزلطة بايدى ..

وارتكن الرجـــل على ركبته اليسرى فوق الأرض ، ووضع الزلطة أمامه ، وقبض عليها بأصابع يده السرى ورفع قبضة يده اليمنى ثم هوى بها بشدة فوق الزلطة .. فارتطم الكف بالزلطة .. ولم يحدث أى شيء .. وصاح الرجل :

ـ يا قوى ..

وأعاد الرجل المحاولة مرة ثانية ولم يحدث أى شيء ، بينما صاح أحد الجالسين على القهوة ، عندما شاهد امـــرأة (متخخة) تتمختر أمامه فى الطريق المزدحم ..

ـ يا أرض احفظى ما عليكى ..

ـ يا قوى ..

ولكن الرجل ، كان يعيد محاولاته لكسر الزلطة التى لم تتأثر بتلك الضربات اللينة ، وصاح الرجل ، وهو ينظر إلى عيون رواد القهوة المبحلقة فى الزلطة ، لترى ماذا سيفعل :

- قالوا لى ايه اللى رماك ع المر .. قلت اللى أمر منه .. يا كريم يارب ..

ورفع يده هذه المرة ، وهوى بها بشدة فوق الزلطة ، التى لم يحدث لها أى شىء ، بينما تاهت نأمة ألم صدرت من فمه فى تلك الصيحة التى أطلقها أحد الشابين قائلا لزميله :

- دوسه يا حلو .. حبستك فى خانة اليك ..

ونظر الى الرجل ، وهو يرفع قبضة يده ، ويهوى بها فوق الزلطة وارتعشت العين المبحلقة ، وهى ترى قبضة الرجل الطرية وكأنها تئن فى كل مرة . بينما تساقطت بعض قطرات من العرق على الأرض من جبهة الرجل ، بجوار الزلطة وقال الشاب لزميله :

- انظر .. ان اكل العيش مر .. العرق يتساقط من جبهة الرجل .. والزلطة لا تنكسر .

فقال له زميله :

- عبيط .. إنها حركات يا ساذج ..

- كل هذا من اجل قرش ..

- قرش من هنا .. وقرش من هناك .. والحصيلة آخر النهار .. أحسن

من كل مرتبك فى آخر الشهر .
ـ حرام عليك .. بذمتك هذا الرجل البهلوانى كما يسميه .. اليس أفضل من رئيس السكرتارية فى شركتنا .. إنه لا يفعل أكثر من شرب القهوة واستقبال الضيوف .. انظر الى الرجل البهلوانى

وفى تلك اللحظة سقطت قبضة الرجل بعنف فوق الزلطة .. فتطايرت شظية رفيعة منها .. وصاح بعض الصبية الملتفين حول الرجل ، بينما بدا الارتياح فى العيون المبحلقة . ومسح الرجل قطرات العرق . وارتسمت على عينيه لمحة الطمأنينة بعد أن انتابه القلق . وصاح وهو يحاول ضرب الزلطة بقبضة :

ـ صلوا على النبى ياحضرات . كل واحد يصلى على النبى المختار .. ياقوى ..

وانهال الرجل على الزلطة بعدة ضربات سريعة ، فانفلقت الى نصفين وصاح الصبية مهللين . وقام الرجل ليجمع القروش من العيون المبحلقة . وسرعان ما تحولت العيون الى اتجاهات أخرى . وكأنها لم تشاهد شيئا . وطاف الرجل بالذين تسمروا فوق الكراسى وهو يردد كلمة :

ـ يا كريم .. صلوا على النبى .

واقترب من الشابين ، فوضع أحدهم قرشا فى راحة الرجل الذى قال له :
ـ ربنا يسترها معاك يابيه . وابتعد . بينما قال زميله :

ـ عبيط والله .. تدفع مليما لهذا الرجل ..
ـ ما أكثر الدجالين .. الذين لا يفعلون شيئا ..
ـ طيب العب .. ولا داعى للكلام الفارغ ..

واقترب القهوجى من الرجل الذى كان ينظر الى القروش القليلة القابعة فى راحة يده . وقال :

ـ شيل كرا كيبك يا عم .. خلينا نعرف نشتغل .. وسع السكة ..

وصاح بأعلى صوته :

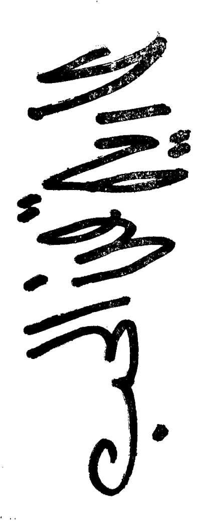
ـ شيشة .. واتنين قهوة ع الريحة .. وواحد ينسون .. ووضبه .. أيوه جاى ..

ورد الرجل وهو يستر صدره العارى بقميص مهلهل ، ويلم عدة الشغل .

ـ ربنا يسترها معاك يابنى .

وحمل كل شىء .. ونظر الى الارض فوجد الزلطة المكسورة .. فركلها برجله . ثم سار . وهو يتمتم ..

ـ يا كريم



●●● متى تصبح المدينة
عارية من الحب ٠٠ ؟
وماذا يفعل الذين يعيشون
فى أعماقها ! !

الديك يصيح بأعلى صوته . . فى الحديقة الصغيرة . والضباب يرمى بثقله على زجاج النافذة التى وقف خلفها أسامه. وقد ارتدى ملابسه استعدادا للسفر . كان واقفا يرتشف من فنجان الشاى الساخن رشفة صغيرة ويحاول أن يعثر على الديك من خلف زجاج نافذة غرفة نومه ، ولكن الضباب غطى الزجاج برذاذه .

مازال الديك يصيح . ويمزق بصياحه سكون الصباح . الكل نيام . وأسامه الشاب الذى جاوز الثلاثين من عمره بعامين ، يقف خلف النافذة ، يستجمع خيوط أفكاره . . لما سيفعله فى هذا اليوم عندما يغادر الاسكندرية إلى القاهرة .

والتفت خلفه . زوجته مازالت نائمه فى السرير تحتضن ابنتها الوليدة ، وفى السرير الصغير ينام إبنه الصغير الذى لم يتجاوز الخامسة .

الديك مازال يمزق هدوء الصباح . نظر أسامة إلى ســـاعته . العقارب تقترب من السادسة . ومد يده ليتناول قطعة من البسكويت، ولكن صراخ إبنته الصغيرة ، جعله يتوقف. ونظر اليها وهى نائمة ، ورأى زوجته وهى تمد يدها لتحتضن الصغيرة التى واصلت الصراخ، ونظرت اليه ، وقالت له بصوت واهن.

ـ الساعة .. ؟

ـ السادسة

ـ إنك تأخرت . . سيفوتك « الديزل » بعد نصف ساعة .

ـ سأخرج فورا .

ـ انتبه وأنت فى القاهرة . . وكل أى شىء . . لاتنسى نفسك .

ـ وهو كذلك

وارتشف القطرة الأخيرة من فنجان الشاى، والتقط حقيبة السفر ، وأغلق باب الخروج خلفه . فأحس ببرودة الجو ، فرفع ياقة معطفه ، وسار بخطى مسرعة فى الشارع الطويل باحثا عن سيارة أجرة ليلحق « بالديزل » .

.. وغاص أسامه فى كرسيه بالقطار ، بعد أن خلع معطفه ، وأحس بدفء التكييف ، فأغمض عينيه بضع لحظات . ثم اعتدل فى جلسته ، وبدأ يتصفح الجريدة ، فلطمته العناوين الصغيرة فى الصفحة الأولى ، وبدأت نظراته تقفز فـــوق الكلمات الملتهبة . .

ـ سكان القدس يتحدون قرارات إسرائيل بتهويد المدينة .

وأشعلت الكلمات بركان الغضب فى أعماق نفسيته .

وانطلقت صفارة القطار ، المنطلق كالصاروخ ، الكل فى عربة القطار مضطجعون وقد لصقوا فوق وجوههم الصحف، والتكييف يلطف أعصابهم. بينما ظلت نظرات أسامه تتراقص مرة أخرى فوق كلمات الصفحة الأولى فى الجريدة .

ـ مسئول اسرائيلى يصرح بأن اسرائيل لن تتخلى عن الجولان والقدس والضفة الغربية حتى فى حالة التوصل الى حل سلمى .

أحس بالضيق مرة أخرى ، فطوى الجريدة وقذف بها على الكرسى ، ونهض ذاهبا إلى « البوفيه » ليتناول فنجان قهوة ، وجلس فوق الكرسى أمام البوفيه ، ونظر حوله ، فالتقت نظراته بصديق قديم ، وتجاذبا الحديث والكلمات ، والتحايا التقليدية ، والسؤال عن الصحة . والعافية .. فهى عادة المصريين لقتل الوقت ، المنعدم لديهم . وقال أسامة .

- ألم تتزوج بعد
- أنا مستريح الآن ... ولكننى غير مستريح :
- كيف ؟
- أحاول أن أخطب فتاة أحبها منذ ثلاث سنين .
- وبعد
- لا أستطيع أن أخطبها .
- لماذا ؟
- أين الحلوح ياصاحبى؟
- لحلوح ! !
- الفلوس .. الوقت صعب .. لاعليك .. كيف حالك فى الجريدة
- يعنى !! ..
- لقد وصلت .. وأصبحت صحفيا ناجحا ..
- أين هو النجاح ؟
- كل يوم أقرأ إسمك فى الجريدة .. ولك نشاط كبير فى الاسكندرية .
- لاقيمة له .. كل شىء فى القاهرة .. أما الاسكندرية فهى جميلة للتحف .. وقبر الاسكندر .

- لقد تزوجت ولك أولاد .. وأنا لم أستطع
- وهل هذا عمل مجيد . . لابد أن نتحرك لهدف أكبر
- هدفى هو الزواج من فتاتى . .
- معك حق . . هدفك الآن . . هو هذا
- كن فى الاسكندرية . . أحسن . . القاهرة غابة . . لا يعرف فيها الأخ أخاه . . ومن النادر أن تجد فيها صديقا . .
- ولو .. لقد قررت الرحيل إلى القاهرة .. لأجد موقعا أتحرك فيه بقدراتى..
- وهل سيتركك التافهون هناك .
- ينبغى أن أحاول . . المهم أن أخطو خطوة.
- صحيح أن كل شىء مركز فى القاهرة . . وكل ماعداها أشباح . . ولكن
- أحاول أن أفعل . . كثيرا هناك .
- أتمنى أن توفق . . ولكن مبادءك . . وقيمك . . لن تجعلك تخطو خطوة فى القاهرة . . أمام العتاولة . .
- لابد من المحاولة . .
- إلى أين أنت ذاهب ؟
- إلى دمنهور . . حيث أقوم بالتدريس . . وتضيع ساعات من عمرى فى القطار . . والنتيجة . . ملاليم !!!!
والحلوح . . لا أعثر عليه .
- لماذا لاتسافر إلى الخارج . . أخى الصغير هاجر إلى الخارج منذ عام ، وحصل على كل شىء . .

- ماذا يعمل ؟
- أرقام . . واحد فى ألف .. ميزانية ... رصيد ...أرباح ... حسابات ... هكذا ... ولكنه لم يعثر على فتاته ...
- لا أحد مستريح ...
- لأننا من طين ...
- نعم !!
- أقصد لأننا على هذه الكرة ... نتحرك فى دائرة
- كرة ... مصطبة ... أى حاجة ... المهم أن أجد الفلوس وأحقق كل ما أريد
- قد تكون على حق فى هذه اللحظة التى اختلت فيها معايير الحقيقة .
- دعنى من المعايير ... إن أى راقصة ... تستطيع أن تحصل على ما أشقى به طول عمرى ... فى شهر واحد ... ياصديقى... لاداعى لهذا الكلام الآن... إعطنى سيجارة .

وقدم له أسامه علبة اللفائف، وراح يحتسى فنجان القهوة ، راميا ببصره عبر نافذة «الديزل» المنطلق ، فبدت صور الطبيعة مهزوزة ... باهتة ... وصرخ «الديزل» ثم وقف فى دمنهور وودع أسامه صديقه ... على أن يراه إذا سنحت الفرصة فى الاسكندرية .

ثم واصل « الديزل » انطلاقه ، حتى وصل إلى محطة القاهرة . ونزل أسامه . . وبصق على الأرض كما هى عادته كلما وطأت قدماه أرض القاهرة ، وأحس بفورة نشاط وصعد إلى مكتب رئيس مجلس الإدارة ... ودخل غرفة السكرتارية ... كانت

هناك فتاة ، بيضاء ، مليئة الوجه والقوام . وقدم لها نفسه. وقالت له :

ـ الاستاذ مشغول . . انتظر . .

وجلس أسامة يتصفح بعينيه الحجرة الصغيرة ، والسكرتيرة البيضاء ، تقوم بتنسيق مجموعات من الصحف الاجنبية. وطارت ورقة من فوق المكتب عنـــدما حاولت أن تضع الصحف فى مكانها . وخرجت من خلف المكتب الذى كان يخفى نصفها الاسفل . كانت مرتدية « بلوزة » بيضاء شفافة ، وقـد برز منها بعنف ثديان ممتلئان ، وبدت ساقاها حتى أعلى فخذيها عاريتين، وانحنت لتلتقط الورقة من فوق الأرض ، فتعرت أكثر ، ونظر أسامة الى الجريدة الملقاة على مائدة صغيرة كانت أمامه. فلمح صورة فتاة فدائية ، اعتقلتها السلطات الاسرائيلية كانت مرتدية ملابس الميدان ، وقال أسامة للسكرتيرة البيضاء المكتزة شبه العارية :

ـ ما رأيك فى هذه الفتاة الفدائية ؟

ـ من ناحية ؟

ـ من أى ناحية فى رأيك ؟ ! !

وسكتت ، بينما ظلت ترتب الصحف المبعثرة ، ومرة ثانية ، سقطت ورقة صغيرة على الأرض ، فنهضت ، وانحنت لتلتقط الورقة ، وتتظاهر بالضيق . وقال لها أسامة وهو مازال ينظر

الى صورة الفتاة الفدائية .

ـ منظر ملابس الميدان .. والمرأة ترتديها جميل .. ما رأيك ..؟

ودق جرس التليفون ، فالتقطت السماعة ، وردت . ثم قامت ، وفتحت باب رئيس مجلس الادارة ، ودخلت . وبعد لحظات .. خرجت .. وقالت لأسامة :

ـ الاستاذ مشغول .. وعنده اجتماع بعد لحظة .. اذا كانت لديك

وقطع أسامة كلامها ، وقال :

ـ لا شيء عندى .. كنت أريد أن أتحدث معه فى أشياء تهمه .. اذا كان لديه وقت فى المساء .. ربما أمر عليه .. شكرا ..

وشيعته السكرتيرة البيضاء المليئة .. شبـــه العارية بنظراتها حتى اختفى خلف الباب ، فقد أحست ان كلماته القليلة قـــد عرت عريها .

ووقف أسامة فى الردهة الدائرية لحظة ، ونظر إلى ساعته ، إن الوقت يمر سريعا ، وهو لم يلتق بعد بالذين يريد أن يتباحث معهم فى المهمة التى جاء من أجلها . وتذكر صديقه رئيس التحرير . فذهب إليه . كان مشغولا فى حديث تليفونى . وشغل أسامة نفسه بتصفح بعض المجلات الموجودة أمامه على المائدة الصغيرة ، بينما اخترق الحوار التليفونى أذنيه .

ـ لا أفهم ..

- .....
- مسكينة انت.. فهمت .. انه لا يقوم بمهمته ..
- .....
- يا كلبه
- .....
- سأراك .. سأتحدث اليك بعد ذلك .. انت مشغولة على ما اعتقد .. سأكلمك بعد قليل .

وأغلق التليفون .. والتفت الى أسامة قائلا :

- أهلا .. كيف الاحوال ؟
- الى اسوأ
- وماذا تفعل الآن ؟
- أحاول أن انتقل الى القاهرة
- لماذا .. انت فى الاسكندرية .. مرموق .. وبعيدا عن الدوامات وعن التفاهات الموجودة بالقاهرة ..
- وماذا يوجد فى الاسكندرية أو غيرها .. خارج القاهرة .. لا شىء..
- هذه حقيقة فعلا .. ومؤلمة .
- وماذا استفدنا من معرفة الحقيقة .. ولا شىء قد تغير بل ازداد الى أسوأ.
- ولكنك ستتعب كثيرا اذا جئت .
- التعب .. أفضل من راحة الأموات .. ولا أحتمل أن أموت حيا ..

ـ أرجو أن توفق .
ـ شكرا ..

وخرج أسامة يدفعه الضيق الى الاصرار على تحقيق هدفه . وذهب ليستريح عند صديقه الناقد الكبير ، فلم يجـــده .. وعرف أن جنازة والدته ستخرج بعد ساعة ورأى أن يشارك صديقه الناقد الكبير الاحزان ، لعله أنه كان يحب أمه حب عبادة . ففرس نفسه مع بعض الزمـــلاء فى سيارة أجرة ، ليشتركوا فى تشييع الجنازة . ومر التاكسى بميدان التحرير وشـارع القصر العينى ، ثم المبتديان .. واقترب من ميدان السيدة زينب . وقال أحد الزملاء للسائق :

ـ من الزقاق

وأوقف السائق السيارة ، وقال :

ـ السيارة لا تدخل هذه الأزقة .. آسف ..

وقال الزميل :

ـ يمكن تدخل من الشارع الخلفى .

ودارت السيارة لتبحث عن الشارع ، وأخيرا عثرت عليـــه وظلت السيارة تتملص من حارة الى زقاق ، وتنغرس فى حفر، ثم تكتسح برك المجارى التى فرشت الازقة . وأوقف السائق السيارة وقال :

ـ آسف .. لن تتحرك السيارة اكثر من ذلك .

ـ وقال أحد الزملاء

ـ شكرا .. لقد وصلنا فعلا ..

وأسرع أسامة وزملاؤه ليلحقوا بالجنازة التى بدأت تتحرك ، وصراخ النسوة والعويل .. والكلمات الأليمة .. تستدر الدموع . وكانت المسيرة تتلوى لتتفادى البرك والحفرة والتف عدد من الاصدقاء حول الناقد الكبير يواسونه . كانت الدموع تنهمر من عينيه ،وهو يحاول جاهدا أن يكتم ألمه . بينما المسيرة تواصل التقدم . ولاحظ اسامه شيئا غريبا استرعى انتباهه . مجموعات من المنازل غريبة التكوين ، والتشكيل ذات ابواب حديدية ، وفناء واسع .. ووسط هذه التشكيلة العجيبة من البيوت .. ذات الفناء الواسع ، رأى أسامة قهوة غريبة ، وقد جلس فيها بعض النسوة والشيوخ فوق التراب يحتسون الشاى ، ويدخنون الجوزة ،ويتوسط القهوة شاهد لأحد الموتى، وقد رصت فوقه بعض الفناجين والجوزة ، والفحم .. وقال أسامة لزميله وهما يسيران فى الجنازة :

ـ أين نحن؟

ـ فى المدافن ..

ـ كيف دخلنا المدافن ؟ ، لا باب .. لا سور ..

ـ نحن نسير بين القبور ..

- وهذه البيوت الغريبه .. وهؤلاء الناس .. والأطفال .. والقهوة ..
- إن هذه البيوت هى مدافن .. يسكنها الناس ..
- والشاهد .. ؟
- حوله صاحب القهوة الى ديكور طبيعى ..
- حتى الأموات تزاحم الأحياء
- ومن قال إن هؤلاء الناس أحياء ..
- لأنهم يأكلون ..
- كالديدان .. أو الحشرات ..
- ومع ذلك فهم أحياء .. ولهم بطاقات شخصية .. ويرتزقون من الموتى ..
- من الموتى ؟
- هؤلاء الناس .. تجد فيهم الحانوتى ، والمقرىء .. والمغسل وكل ما يلزم الموتى من خدمات ..
- انهم يعيشون أسعد الناس .
- أنت تخرف
- بل هى الحقيقة .. لأنهم لا يفكرون الا فى الموتى .. وأرزاق الموتى ولا يهمهم ما حدث فى هذا العالم .. فى المدينة الكبيرة المكتظة حتى لو انخسفت المدينة تحت قنابل الاعداء .. فلن ينخسفوا .. اكثر مما هم فيه ..
- هيا .. هيا .. نقدم العزاء .

ووقف أسامة فى الصف الطويل ، يقـــدم العزاء الى أقارب المرحومة ، عبارة عن كلمات مختنقه .. لا تريح ولا تتعب ، ولكن يجب ترديدها . وتقدم الى الناقد الكبير .. وانفرجت شفتاه .. وتاهت الكلمات منه ..

وسار .. والدموع منحبسه فى عينيه .. الى ان وجد نفسه .. فى شارع طويل .. تتحرك فيه الترام الكثيبه المنظر .. والناس وقد غسلت وجوههم الاتربة . ولمح سيارة أجرة .. فجرى اليها وانحشر فيها .. صارخا :

ـ الزمالك ..

وانطلقت سيارة الأجرة تتلوى بين باقى السيارات الكثيفة حتى وصلت إلى الشارع الذى كان يريده أسامة . وتعلق بصره بأرقام المنازل .. لم تكن فى الحقيقة منازل .. وإنمـــا كانت معظمها فيلات .. وسفارات .. ومراكز لهيئات اجنبيـــة وأخيرا عثر على العمارة .

واستقبله صديقه المطرب فرحا قائلا :

ـ جئت فى وقتك .. أهلا .. أهلا .. أين أنت ؟

ـ فى هذه الدوامه .

ـ أهلا .. عندنا بعض الأصدقاء .. وبعض الزملاء من الصحفيين .. ستستمع الى أغنيتى الجديدة .. تعالى ..

وتعارف أسامة عليهم .. كانوا متناثرين فى الصالون .. اثنان يحلان الكلمات المتقاطعة ، وآخر يستمع الى اسطوانه للمطرب الصديق ، واثنـان آخران يتناقشان فى الموقف السيـاسى .. وآخر جلس على الأرض بجوار مائده صغيرة ، يلتهم ما عليها

من مأكولات ويدندن بمقاطع أغنيات متناثرة .. وكان يلتفت الى زميليه وهو يلوك الطعام فى فمه الممتلىء .. ويقول لهما :

ـ أمتع ما فى الدنيا راحة البال .. والطعام اللذيذ .. مالكما والسياسة ونحن فى هذا الشمل الجميل ..

ـ دنياك الطعام ..

ـ هذا كل ما أستطيعه الآن ..

وطرقعت ضحكات الآخرين .. وضحك الباقون بالعدوى .. وأمسك المطرب بعوده يدندن عليه بأغنيات .. لا معنى لها ، وتحولت أشكالهم الى شبــه فقاعات كبيرة فى نظر أسامـه ، فوضع رأسه بين كفيه ، شاردا بأفكاره ، ونظراته والكل عنه لاهين بضحكاتهم وقفشاتهم .. ولا أحد منهم يدرى بالآخر .

لم يشعر بالوقت الذى مر بسرعة ، ونهض كمن لدغته عقرب . تذكر موعد سفره الى الاسكندرية . وقال له صديقه المطرب ..

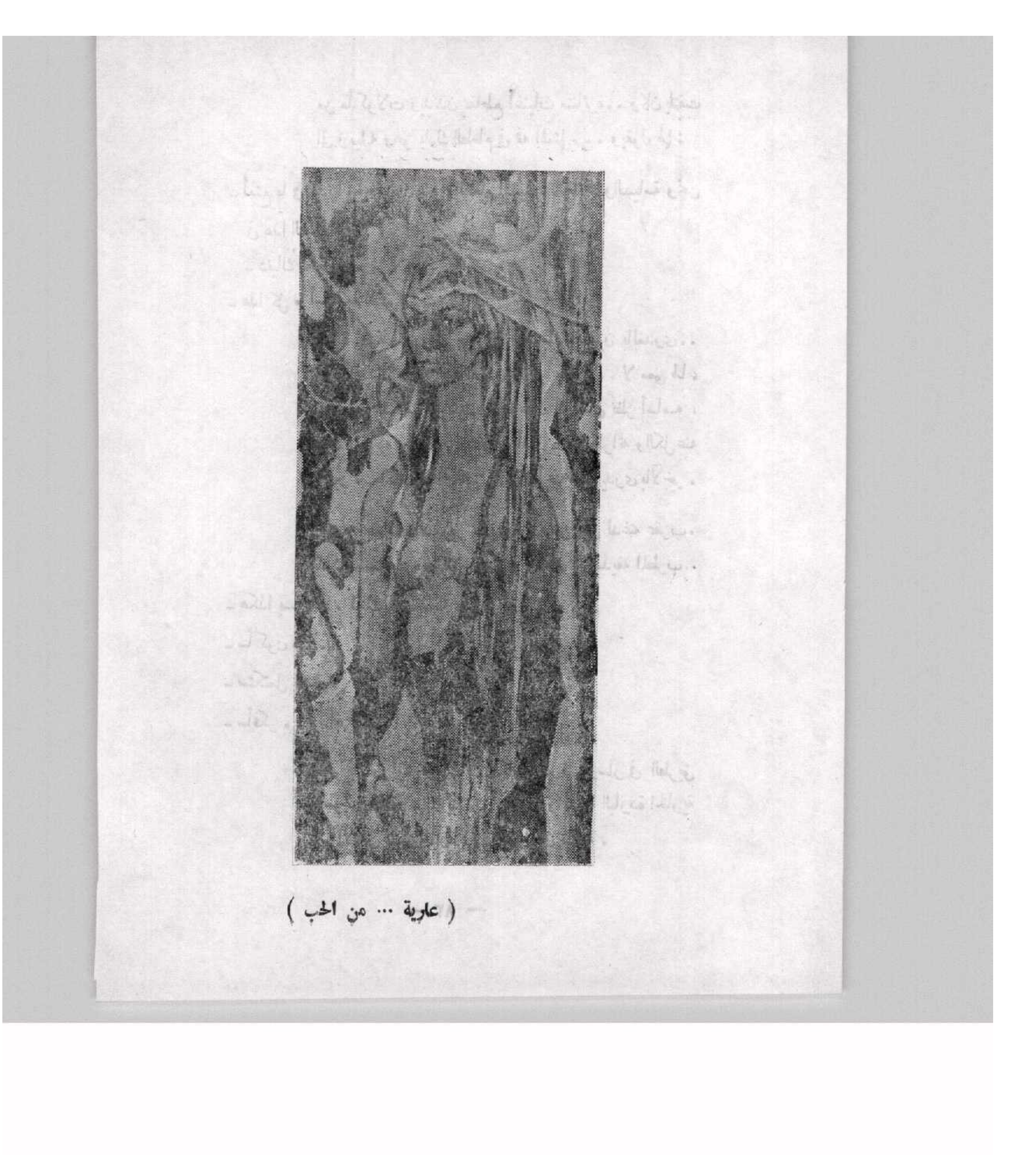
ـ هكذا بسرعة .. ليتك كنت معنا .

ـ سأكون هنا ..

ـ ستكتمل الشلة .

ـ سأفكر .. وسأعود .

وخرج ، ورأسه تمور بأفـــكار كثيرة . وسار فى الطريق بخطوات هادئة .. ثابتة .. بطيئة . والمدينة الباردة الخاوية .. إلا من بعض المارة ... تحاول أن تبتلعه .



(عارية ... من الحب)



●●● لن يخنقوا ما بين قلبينا
بمشنقة نظراتهم ..
لأن دقات قلبينا
هى أجمل لغة
لا تفهمها عيون الغرباء!!!



قاعة صغيرة ، ومائدة احتفال عليها مجموعات من الحلوى « والجاتوه »
وأكواب الشاى . وعلى رأس المائدة جلس رجل عجوز ،
وهو مفتش بوزارة الشئون الاجتماعية وبجانبه الرئيسة وكل
الحاضرين السيدات والآنسات، عضوات جمعية رعاية الطفل .
وكل واحدة منهن استعدت لهذه اللحظة .. تصفيف الشعر على
أتم مايكون .. والفساتين الجديدة ، حتى الروائح اختلطت فى
جو القاعة الصغيرة وامتزجت ببعضها ، فــكان « الكوكتيل »
عجيبا ، تعجز أنوف خبراء الرائحة أن تهتدى إلى سر تركيبة .
وبجوار الرجل العجوز جلست الرئيسة ، والفرحة تقفز من
عينيها . وقبل أن تفتح فمها لتبـــدأ الاحتفال رأت الاستاذ
حازم .. الشاب الصحفى الذى جاء ليستكمل حديثه معها عن
مشروعاتها للجمعية . فصاحت :

ـ أستاذ حازم .. تفضل بجوارى .. إنها مفاجأة لطيفة ، تحضر معنا هذا
الاحتفال الصغير ..

وجلس حازم . نظر أمامه . التقت عيناه بعيون الأخريات .
إنه يعرف بعض ولكنه لم يعثر على وجه معين . وسمع الرئيسة
وهى تنادى :

ـ أميرة .. أميرة .. تعالى هنا .. الكرسى خالى .

أضطربت دقات قلبة . ورأى وجه أميرة أليفة قلبه وتعجب على الصدفة العجيبة التى تجعل أميرة تجلس على الكرسى المقابل له . وكأنه احتفال خاص بها وحدها . ولكن هذا الاحتفال جاء متأخرا . فقد انقطعت بينهما لغة الحديث العادية منذ مدة إلا أن نظراتهما قد تعانقت بسرعة ، دون أن تلحظ ذلك بقية عيون الاخريات . ثم اتجهت كل الانظار إلى الرئيسة التى بدأت الحديث :

- يسعدنا أيتها الزميلات أن نلتقى فى نهاية كل عام من النشاط بالرائد الكبير .. لنعبر له عن شكرنا ، وتقديرنا لخدماته الجليله ، واستشارته للجمعية .. التى تبذل كل مافى وسعها لرعاية الطفولة .. صانعة المستقبل..

(تصفيق)

لنفسها - إنك تنظر الى كثيرا ..

لنفسه - وماذا تريدين أن أفعل .. أن استمع الى هذا الكلام الفارغ .

لنفسها - أرجوك .. إنهم ينظرون إلينا .. واليك بالذات ..

لنفسه - أعرف .. ولكنهم لن يعرفوا لغتنا .. لن يفهموا لغة قلبينا .. تك تك .. تك ..

لنفسها - إننى أتألم ..

لنفسه - لأنك سمعت كلامهم .. وقطعت أغلى لحن فى حياتك .

لنفسها - أبدا .. إن لحنك مازال فى قلبى .. ولن يخرج

لنفسه - ولهذا أحببت أن تتعذب .. ونفترق ..

لنفسها - حتى لا يقتلوا لحننا إلى الابد . . إنهم يراقبون نظراتك لى
لنفسه - ولو . . لن يختفوا مابين قلبينا بمشنقة نظراتهم . . لأن دقات قلبينـا هى أجمل لغة . . لاتفهمها عيون الغربان !!!!
لنفسها - لن أنظر إليك . .
لنفسه - لاداعى للنظرات أيضا . . بل يكفى دقات قلبينا . . إننى أسمعهـــا جيدا . . . تك . . تك . . تك . .
لنفسها - أرجوك . . إننى أتعذب . . لا أحب نظراتهم .
لنفسه - نظراتهم القاتلة !! . . لقد خرجت من زنزانة الارانب . . لتشنقى هنا بنظرات الغربان . .
لنفسها - يكفى أننى أعيش معك كل لحظة من عمرى . . مع لحن حبنا . . فى أعماق قلبى . .
لنفسه - ولكننى لن أجعلهم يشنقونك بنظراتهم . . أين نظراتك الفرحـــة كلما رأيتنى . .
لنفسها - لا أدرى . .
لنفسه - إننى كنت أحس بسعادة . . لاننى جعلتك تحسين بالحياة التى كادت أن تفلت منك وأنت فى ربيع عمرك . . لان سجان زنزانة أرانبك قد امتص منك أغلى ما فى رحيق العمر . .
لنفسها - أرجوك . . أرجوك . . لاتعذبنى أكثر . . . تك . . تك . . تك . .
لنفسه - إننى لا أعذبك . . وإنما أعيد اليك البسمة على شفتيك . . والفرحة فى عينيك . .
لنفسها - إنهم ينظرون الينا . .

لنفسه ـ ماهذا الخوف .. لابد أن تخطى حواجز نظراتهم الغربانية .. ماذا حدث لك .. ماهذا السواد تحت عينيك .

لنفسها ـ لم أنم أكثر من ليلة ..

لنفسه ـ تفكرين فى .. وأنا كذلك !

لنفسها ـ أحلم .. بلحننا .. وبأحلى لحظات عمرى التى عشتها معك فى أيام قليلة .

لنفسه ـ ولماذا قتلت أغلى لحن فى حياتك ..؟

لنفسها ـ لاتقل أبدا هذا « تك .. تك .. تك »

لنفسها ـ لماذا هذه القطيعة فجأة .. أعطيتك أعلى ثوانى العمر .. ويكفى أنك تعيشين من جديد .. وخلقت من جديد .

لنفسه ـ لماذا .. ابتعدت ؟

لنفسها ـ لأننى .. لست وحدى .. لولا أرانبى .. لما تركتك أبدا ..

« تك .. تك .. تك .. »

ـ ماذا يقولان لبعض ؟

ـ لا أعرفك يا أختى .. مضت مدة على فراقهما

ـ إنه يأكلها بنظراته .

ـ وهى مسكينة .. ربما تضعف أمامه .

ـ أبدا .. أنا قلت لها كلاما كثيرا .. وسمعت كلامى ..

ـ ياخسارة .. والنبى مناسبين لبعض

ـ أخرسى .. ماالذى تقولينه .. لابد أن يفترقا ..

- ياقلبك يا أختى .. ياليتنى أجد من يحبنى ..
- حب !! .. لايوجد حب ياعبيطة . فى هذه الدنيا
- ياقلبك يا أختى .. كل يوم نسمع أغانى الحب .. وكلام عن الحب..
- كلام فارغ .. أكاذيب .. خداع .. أنا متزوجة أكثر من تسع سنين .. أولاد .. وكرب .. أين الحب ؟!!
- ياقلبك يا أختى .. لكن فيه حب ،
- فى الحواديت والروايات فقط ..
- هس .. الست الرئيسة تنظر الينا ..

« تك .. تك .. تك .. »

لنفسها - أرأيت .. إنهم ينظرون الينا ..

لنفسه - إنهم يحسدوننا ..

لنفسها - أين تنظر .. ؟

لنفسها - لاتضطربى .. لن أنظر اليهم .. أننى إنظر إلى هذه الحجرة الحبيبة.. حيث شهدت لحظات لحنننا الجميل .. أتذكر .. تلك اللحظات ..

لنفسها - لاتعذبنى .. أكثر .. إننى أتذكر ذلك .. كل يوم .. لأننى أجلس فيها وحدى .. وأتخيلك وأنت بجوارى .. وأنت تتفرج على الأشياء المعلقة .. ووجهك .. وتعليقاتك الساخرة .. وابتساماتك .. وكلامك .. أرجوك .. لاأستطيع أن احتمل ،

لنفسه - وكيف تحتملين بعادك عنى .. إن وجهك الجميل .. بدأ يشحب ولا أرى لمعان الحياة فى عينيك .. لماذا كل هذا .. لقد ضعفت .. إنك

تعذبين نفسك .. وتحرمين نفسك منى .. لأنى أريد لك حياة أخرى .. بكل مافى الحياة من حياة .

لنفسها ـ ليتنى كنت وحيدة ..

لنفسها ـ حتى الفستان السماوى الذى كنت ترتدينة .. نسيته أين هو ؟

لنفسها ـ لم أكن أعرف أنك ستأتى هذا اليوم .. وان كان قلبى قد همس إلى بأنك ربما تأتى بعد طول غياب .

لنفسه ـ لماذا تحاولين أن تهربى من قلبك .. دائما تحاولين أن تخفى دقاتــــه الصادقة ..

« تك .. تك .. تك .. »

لنفسها ـ لانى كما قلت لك .. أعيش فى زنزانة .. وقد تعودت عليها ..

لنفسه ـ لايمكن أن تعيشى ايامك كلها فى هذه الزنزانه مع سجانك .. سأتركك للزمن .. لانك ماخلقت إلا لنكون معا ..

لنفسها ـ (تبتسم) وأرانبى !! .. وأرانبك !!

لنفسه ـ آه .. الأمنه عليهم .. لولاهم ماعرفنا مذاق مشنقة الحيــــاة .. وفى نفس الوقت أيضا .. ماعرفنا بسمة الدنيـــا .. وقت أن يجىء الإنسان بالضياع .

لنفسها ـ رجعت مرة أخرى إلى السخرية ..

لنفسه ـ لاتوجد سخرية أروع من سخرية وجودنا فى هذه اللعبة .

« تك .. تك .. تك .. »

ومد الرجل العجوز يده بعلبة لفائف الى حازم

- تفضل ..
- شكرا ..
- لايوجد إلا أنا وأنت .. بين هذا الجمال ..
- وهو كذلك ..

وأشعل كل منهما لفافته ، ونظر حازم الى أميرة .

« تك .. تك .. تك .. »

لنفسها - ألم أقل لك لاندخن السجاير ..
لنفسها - لم أدخن .. ولكننى أشعلتها فقط .
لنفسها - تبدو مراهقا .
لنفسه - جدا .. مثلك ..
لنفسها - أحب أن أسمع عنك .. أنك فى صحة جيدة .
لنفسه - ولماذا لاتقولين هذا لنفسك أيضا ..
لنفسها - سأحاول ..

« تك .. تك .. تك .. »

- والآن أيتها الزميلات سنستمع الى الرائد الكبير .. ليحدثنا عن رأيه فى جمعيتنــــا .

(تصفيق)

- لا أعرف كيف أشكركم على هذه الحفاوة .. وهذا الحفل الجميل .. وقد

زاده جمالكم روعة .. وفتنة .. وإنها نعمة كبيرة من الله .. أن يجعلكن .. مسئولات عن الاطفال .. صانعي المستقبل .. وأطلب من الله أن توفق كل منكن في حياتها الخاصة والعامة .. وأشكركن ..

(تصفيق)

ـ والآن أيتها الزميلات .. نبدأ بالحلويات .

وهجمن على الحلوى والجاتو .. هجوم الجيوش المحرومة ..

« تك .. تك .. تك »

لنفسها : تفضل

لنفسه : لارغبة لى .. يكفيني أن أراك

لنفسها : وأنا كذلك

لنفسه : متى نلتقي ..

لنفسها : ليتني ألتقي بك .. ولكني لا أستطيع ..

لنفسه : عدنا مرة أخرى .. الى الخوف ..

لنفسها : إنني لست خائفة ...

لنفسه : ولماذا لانتقابل اذن ...

لنفسها : لانني أتعذب عندما نفترق .. ويكفيني هذا الافتراق الآن ..

لنفسه : إن العمر لحظات .. وكل ثانية تمر .. لاتعود .. فلماذا تحرقين لحظات العمر .. في أحلام الفراق .. ويكفي العذاب الذي تعيشين فيه .. مع سجانك .. ومع الغرباء ...

لنفسها : كلا أستطيع أن أحتمل ...

لنفسه : أنا أعرف ذلك . . وأعرف أن قلبك فى النهاية سينتصر على كل قيود زنزانتك .. وعلى عيون الآخرين .

«تك . . تك . . تك»

لنفسه : ماهذه الدموع . . ؟

لنفسها : اننى أحبس دموعى . . لاأستطيع أن أقاوم

لنفسه : لن تقاوى قلبك . . لأنه بدأ يحس بحلاوة الحياة . . ولحننا الذى تريدين أن تهربى منه ،

لنفسها : سأترك المكان . . لاأريدهم أن يروا دموعى

لنفسه : قبلاتى الى قلبك . . ليتنى أستطيع أن أمسح دموعك بقلبى ياغاليتى . .

لنفسها : حتى كلامك الحلو يعذبنى . .

لنفسه : لن يعذبك عندما نلتقى غدا . . أى غد . .

لنفسها : سأترك المكان . . عيونهم تذبحنى . .

لنفسه : معك قلبى يحميك . .

« تيك . . تك . . تك »

ونهضت من مكانها . واقترب منها بعضهن يحاولن أن يرتوى فضولهن ولكنها ابتسمت .. ودموعها المحتبسة .. تفضح ابتسامتها الباهتة . ووقف الجميع بعد أن تم تنظيف الاطباق من كل ما كان فيها . واختلطت أحاديثهم التافهة ، وهمساتهم الخبيثة ، ونظرات عيونهم الغربانية فى دوامة عابثة . وتشابكت الايادى فى السلامات والتحايا .. الى أن اقترب منها .. يضغط على راحة يدها برفق .

- كل سنة وأنت ..

- وأنت ..

لنفسها : هكذا بسرعة .. انتظر قليلا

لنفسه : سأنتظرك غدا .. أو أى غد .. بعد أن ينتصر قلبك !!!

« تيك .. تيك .. تيك .. »



●●● إن دبلته أصبحت الآن

فى تلك اللحظة الحرجة . .

رخيصة . . رخيصة جدا ! !

منذ عشر سنوات ، كان ، حبه لزوجته ثورة على نفسه ، وعلى تقاليد مجتمعه الصغير ... أمه ، ووالده . وانتصر حينئذ ، وقاوم كل شيء في هدوء وكاد يعتصره ألمه دون أن يصرخ أو يستنجد ، لأنه هو الذي اختار طريقه على أشواك حبه . ومضت الأعوام ومضى هو معها ثائرا على بقـــايا نفسه المتعلقة برواسب أجداد أجداده . ولـكنه اليوم يقف في هذا الطابور داخل أحد بنوك الاسكندرية ينتظر دوره . ونظر أمامه يعد الأشخاص الذين سبقوه .. واحد اثنين .. ثلاثة . ان رقمه في الطابور هو التاسع . ولفت نظره انهم جميعا من الطبقة المتوسطة . السيدة الواقفة أمامه ومعها ابنها الصغير الذى لايتعـدى السابعة ترتدى ملابس بسيطة . وكانت قطع زينتها فى عنقها ورسغها واصابعها ... هى العدم . ولفة صغيرة من قطعـــة قماش أبيض كانت تقبض عليها بأصابعها وتحتضنها إلى صدرها . وابنها الصغير واقف أمامها يلعب فى خاتمه الذهبي وينظر إلى الناس المتجمعين فى هذا المكان بلهفة .

إنه لم يكن يتوقع فى أى يوم من الأيام أن يقف فى مثل هذا الطـابور ، ولكن الاحداث التى تلاحقت متشابكة خلال الأسبوع الأول من يونيو خلفت وراءها سحابة كثيفة سوداء فوق مصـر وسوريا والأردن ، حجبت الشمس قليلا ، فأصبح ضوء النهار رماديا ، وظللت وجوه بعض المحبين كتماثيل الشمع . ولكنهم تدافعوا إلى هذا المكان ليقدموا أى شىء لـكى يعود اللون الوردى إلى وجوههم .

وقف فى الطابور ساكـنا ، ولـكن خواطره كـانت سريعة الحركة . وعلى

دوامة الأصوات المتلاحمة داخل البنك عادت ذاكرته إلى الوراء .. يوم أن جلس مع حبيبته بعيدا عن العيون ، تحت ظلال شجرتها ، وأشعة الشمس الوردية تغطى السماء عند المغيب . وقال لها :

ـ تأخرت عليك .

وردت عليه بابتسامة صافية ، بينما استطرد حديثه قائلا :

ـ بعد قليل ستعرفين لماذا تأخرت... اما الآن فأخبريني هل تحدثت مع الدتك؟

ـ اتصلت بها بالتليفون فى البلد ... ولكنها لم تكن موجودة

وصمت لحظة ، ثم اخرج مصحفا صغيرا من جيبه ، وقال لها:

ـ سوسن ضعى يدك فوق هذا المصحف .

ووضعت يدها فوق المصحف وهى تنظر فى دهشة إلى قسمات وجهه.

ـ والآن أرجو أن أسمع منك هذه الكلمات

ـ نادر .. ماذا جرى لك

ـ أرجوك .. أرجو أن أسمعك وأنت تقولين .. وحياة حبنا سأكون لك ومعك مهما كانت العقبات .

وأطبقت أناملها على المصحف الصغير ، وردد قلبها تلك الكلمات وسمعـــا تغريد العصافير فوق الشجرة .. والأشجار المجاورة فأخرج نادر علبة صغيرة وأخرج منها دبلة ذهبية ووضعها فى أصبعها . وقدم لها الدبلة الأخرى لتضعهـا فى أصبعه .

وبأنامل مرتعشة أمسكت بالدبلة وحاولت أن تضعها فى أصبعه واخطأت الأصبع لأن دمعات فرحة انسابت على خديها . ومسحت بأصابعها تلك الدمعات

.. وأدخلت الدبلة فى أصبعه ورفعت أصبعها المحلى بدبلة الخطوبة إلى فمها ، ولثمته وسمعت نادر وهو يهمس فى أذنيها :

مبروك ياسوسن

ولم تستطع أن تتكلم من المفاجأة فقد أحب كل منهما الآخر ، ولكن ظروفه المادية تحول بينه وبين أن تتم خطبتها فى حفل يشهده أهلها وأهله وما يستلزم هذا الإحتفال من نفقات ومصاريف .. وشروط وعراقيل تجعل حدوث هذا اليوم بهذا الشكل من المستحيلات بالنسبة اليها . وفكر طويلا ، إلى أن اهتدى إلى هذا الاحتفال على طريقته التى اختارها .. ولتكن بداية ثورة على ما هو مألوف من تقاليد مجتمعة . وقال لها :

ـ ما أجمل حفلتنا .. الموسيقى تعزفها لنا عصافير الحرية فوق شجرتنا والجو شاعرى . ولايوجد إلا فى الأحلام وخيالات الرومانسيين . حتى الحديقة خلت من الناس لنتمتع بنغمات الطبيعة وحدنا .. سوسن هل انت معى

وهمست إليه ،

ـ معك يانادر .. إلى الأبد انت كل حياتى . وضحك وقال :

ـ يخيل إلى اننا نعيد مشاهد روميو وجولييت . أو نعيد بعض سطور كتاب الخرافات عن الحب .

ـ اننا فى حلم يانادر

ـ أرجو ان تكونى سعيدة

ـ انى أسعد الناس وأنت معى يانادر

ـ وأنا كذلك .

وسكت الاثنان وأحاطتهما نغمات فرحة من الطبيعة .. حفيف أوراق شجرتهما والأشجار المحيطة بها ، وزقزقة العصافير .. وصوت دقات قلبيهما .

وهمس نادر :

سوسن عندى فكرة

ـ ماهى ؟

تعاهد انفسنا . ألا يخلع أحدنا دبلته أبدا مهما كانت الايام .

ـ لن تترك دبلتك أصبعى أبدا .

ـ ليتنى أقدم لك أى شىء ياسوسن

ـ أرجوك يانادر .. يكفينى ما أنا فيه من سعاده ..

وذابت ذكرياته عندما أشتد الضجيج فى البنك . وحين سمع صوت الموظف وهو يقول للسيدة التى تقف أمامه فى الطابور :

ـ اتفضلى ياهانم

ورآها وهى تقدم اليه اسورة من الذهب كانت فى لفة القماش الصغيرة واخذها منها الموظف ووضعها فى الميزان . بينما انحنت السيدة على ابنها الصغير وقالت له : اخلع الخاتم ياهشام

وامتنع الصبى وهز كتفه . ولكنها عاودت الحديث قائلة :هات الخاتم ياحبيبى بابا يجيب لك غيره لما يعود بالسلامة من الميدان .

وبدأت فى سحب الخاتم من أصبع ابنها الصغير بينما تشابكت الخواطر والافكار فى ذهن نادر عندما رأى ذلك المنظر . لقد كان يحس أنه سيقدم أغلى مالديه من ذكريات حين خلع دبلة زوجته ودبلته وجاء إلى هنا . إلى البنك

ليقدم الدبلتين إلى المجهود الحربي . ولكن هذه السيدة وابنها جعلا ذكرياته الجميلة عن دبلته التي تذكره بثورته .. تتضاءل أمام الموقف الحرج الذى تقف فيه بلاده والعدو قد احتل جزءا من الارض .. وكيف يمكن له أن يعيش ذكريات ثورته الصغيرة على نفسه ، والعدو يقف فوق قطعة من بلاده. كان يظن ان ثورته الصغيرة على مجتمعه الصغير تعتبر ثورة هائلة .

وأن دبلته الذهبية التى وضعتها انامل سوسن فى أصبعه هى رمز ثورته .

ولكن تلك الثورة تلاشت كفقاعة الصابون أمام الموقف الرهيب الذى يهدد بلاده .. ويهدده هو .. وسوسن وابنها بالفناء بعد ان وطأت أقدام اليهود أرض سيناء .

إن دبلته أصبحت الآن فى تلك اللحظة الحرجة ... رخيصة ... رخيصة جداً ولكنه آثر أن يقدم ما كان يحسبه غاليا عنده إلى بلاده .

وانتشله من خواطره المتشابكة ... صوت الموظف وهو يقول

- تفضل يا أستاذ :

وشعر نادر بالعرق يتصبب من جبينه ، فأخرج منديله ليجففه ، وبيد مرتعشة قدم الدبلتين إلى الموظف الذى انشغل بوزنها بينما أحس نادر بتيار من الراحة يجتاح نفسه وان لهيب ذكريات ثورته الصغيرة بدأ يخبو رويدا رويدا أمام لهيب الآلاف من القطع الذهبية الصغيرة .



لقد تغيرت الدنيا أمام عينيها .. لأول مرة فى عمرها تحس بجمال الورود التى تتفتح فى الربيع ، وبنسمات الليل وأصبحت لا تنام إلا على استعادة همساته التى كان يقولها .

(بلا خوف)

●●● لأنك جبانة . . وتفكرين بعقلك
الذى لا يحب إلا المنفعة
- ماذا تقول
- كلام كالنار .. لأحرق عقلك
الذى سجنك طوال العمر

● ● ● كان واقفا فى ذلك المكان ، منتظرا حبيبة قلبه . ذات صباح مبكر . بالرغم من سقوط قطرات من الرذاذ ، والوقت ربيع. لكن ذلك الصباح يختلف عن كل صباح ، لأنه يذكره ، بتلك اللحظات التى لا تنسى عندما يصاب أثنـــان بصاعقة يسمونها الحب . . أحيانا . لقـــد مرت الأيام سراعا ، لكن ذلك الصباح ، وذلك اليوم . . تعاهدا على أن يلتقيا فيه ، ليسترجعا معا أجمل لحظات قلبيهما . . حين تلاقت خفقاتهما فى لحن واحـد . . سحرى . بعيدا عن كل واقع محسوس . ولمح وجهها من بين عشرات الوجوه ، والأجساد . وتلاقت نظراتهما الفرحة ، وغابت يدها الناعمة فى حضن كفه الدافىء . وسارا بعيـدا عن المكان . . وقال لها :

ـ صباح الخير . .

ـ صباح الخير . .

ـ كيف أمضيت الأمس . .؟

ـ فى ألم

ـ لماذا ؟ تركتك . . وكنت السعادة بعينها . . ليتنى لا أتركك لحظة .

ـ كيف ؟

ـ ماذا حدث ؟

ـ وجدت الأولاد يبكون . .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى تأخرت قليلا .. فكرت .. ألا نلتقى معا
ـ هكذا ..
ـ لا تنظر إلى .. أرجـــوك .. لا أحتمل .. كنى ما مر بى بالأمس مع الأولاد .
ـ كنى ما مر بك أنت من أيام . بل من سنين ضائعة .. إلى أن ولدت من جديد ..
ـ كيف أحتمل ؟ اننى متضايقة !
ـ لن تتضايقى وأنت معى .. وخاصة فى هذا اليوم بالذات .. سنذهب إلى حديقتنا .
ـ لن أذهب
ـ لماذا ؟
ـ يكفى أن أراك ..
ـ كما يرى غريبان أحدهما الآخر ..
ـ السماء تمطر ..
ـ رذاذ الربيع .. ليس مطرا .. إنه يغسل من نفوسنا .. آلام الشتاء ..
ـ لقد فكرت .. ورأيت أن نبتعد ولو قليلا .. اننى متضايقة ..
ـ من الأولاد .. لكننى تركتك بالأمس فقط وأنت سعيـــدة .. وأنت تطيرين من فوق الأرض .. كأنك تسيرين فوق القمر .. لا يمكن أن أتصور اننى أسير بجوارك الآن ..
ـ قلت لك .. لا تنظر إلى هذه النظرات .. لا أكاد احتمل ..
ـ ماذا يريدون .. أكثر من هذا .. كنت محروما منك أسبوعا .. لم أرك فيه . وعندما أجدك .. أفقدك هكذا .

ـ لم تفقدنى .. ولن تفقدنى ..
ـ قلبى يعرف هذا .. لأنك تحاولين أن تقتلى قلبك .. وهـذا مستحيل ..
ـ أرجوك !!
ـ وأعرف انك تحاولين أكثر من مرة .. أن تحرمينى .. أو تحرمى نفسك من لحظة سعادة .. هل يوجد من تدعو الله مثلك .. أن تـكره حبيبها بمثل ما تحبه من حب كبير ..
ـ لا تعذبنى أكثر مما أنا فيه ..
ـ لماذا تعكرين صفو تلك الذكرى فى هـــذه اللحظة بالذات .. أنت لست أنت .. كنت بالأمس فقـــط .. تهبيننى أنقى لمسات الحب .. الصافى كانت ذراعـاك تحوطنى .. كأنك تخشين أن أختفى .. وكانت أصابعى تتسلل بين خصلات شعرك وتلتقى روحانا .. فى قبلة خاطفة ونحن نسير بين الورود ..
ـ أرجوك .. لا تجعلنى أتراجع فيما قررته ..
ـ من الذى سمح لك بأن تقررى ؟ !! أشياء كثيرة عشت محروما منها .. وما زلت . لقد تعودت على الحرمان .. منذ أيام طفولتى .. ولم أتعود أن
ـ لا أحتمل أن أسمع ..
ـ سأسكت .. وابتلع حرمانى .. ولـكننى لا أريد أن أراك متضايقة .. ولست أنا السبب .
ـ كيف ؟
ـ لأنى لا أضايقك !
ـ ولكنك لا تخاف على .. من عيون الآخرين .

ـ عدنا إلى عيون الآخرين .. سحقا لهذه العيون .. لانى لن أعيش مليون سنة .. لكننى لا أهتم بها .. فقط أهتم .. بك .. وأخاف عليك .. لا كما تتوهمين .

ـ إذن .. فلنبتعد ..

ـ لأنك جبانة .. وتفكرين بعقلك .. الذى لا يحب .. الا المنفعة

ـ ماذا تقول ؟

ـ كلام كالنار .. لأحرق عقلك الذى سجنك طوال عمرك ..

ـ كفى !!

ـ شكرا .. شكرا .. يكفينى .. أن قلبك الدافىء .. جعلنى أملك الدنيا .. لحظات .. وجعلك تحسين بالوجود ..

ـ يكفينى أن أراك فقط .. ولو من بعيد ..

ـ اننى حزين من أجلك .. لان قلبك .. سينزف دما .. وستعودين إلى حياة الثلوج .. فى عز الصيف .. لكن سينتصر قلبك فى النهاية .. مهما فعلت !!!

وافترقا بالصمت .. وحاولت هى أن تستنجد بساقيها لتختبىء فى زحام الناس، بينما وقف هو .. رافعا ناظريه إلى السماء .. مسترجعا صورة ذلك الجبل الشاهق الارتفاع الذى وقف علية ذات لحظه .. فى ذات يوم .. فى مكان ما وكانت هى معه .. وكانا معا بعيدا عن كل عيون .. يرتشفان أحلى ثمار الربيع .. الحب.

●●● الذى يحب .. لا يخاف

عيون الآخرين

بل ... ويسحق المستحيل

● ● ● دقت الساعة الرابعـــة .. فى الصالة الصغيرة ، حيث كانت الأم جالسة هى وبناتها يشاهدن أحد الأفلام العاطفية ، لكن « مريم » ابنتها الوسطى .. أسرعت إلى الراديو الصغير ، لتستمع إلى أغنية حبيبة إلى قلبها .. وهى تعلم أن فى هذه اللحظة بالذات ، يستمع معبود قلبها إلى نفس الأغنية كما تواعدا منذ مدة . وعندئذ تلاشى وجـــود كل الحاضرين فى الصالة بأجسامهم من أمام ناظريها ، وأحست « مريم » بأن أنفاس معبودها تكاد تقترب منهـــا ، وبأنه موجود فعلا بجانبها يحوطها بذراعه ، وخيل اليهـا أنهـا تستمع إلى همساته بل وتشعر بلمسة يده ، وقبلته الحانية فوق خدها .. إنهـا تتذكر كل هـذا عندما استمعا لأول مرة إلى هـذه الأغنية .. وأمواج البحر تتراقص أمامها .. كان ذلك منذ مدة طويلة ، لكنها تحس بتلك اللحظة الآن .. على أنغام موسيقى هذه الأغنية ، والتى يخفق معها قلبها بشدة .. وأحست بهزة فى كتفها ، وكادت تنطق باسم معبودها ، ولكن تلك الهزة سحبتها من حلم يقظتها الجميل ، فرأت أمها وهى تشير لها إلى صورة البطل فى الفيلم على شاشة التليفزيون .. قائلة :

- أنظرى .. يا مريم
- مـــاذا ؟
- إن البطل يملس على شعر حبيبته ..
- وما الغرابة فى هذا ؟
- إنها من علامات الحب
- الله .. الله . ياماما .. ما هذا ؟
- كلام يابنتى ..

ـ أكنت تحبين بابا ؟
ـ أحبه !! .. طبعا .. وكيف عشت معه كل هذه السنين ..
ـ على أيامكم ياماما .. كان الحب نادرا ..
ـ العشرة تولد الحب ..
ـ ليس فى كل الأحيان .. وليس الآن يا ماما ..
ـ لا أفهم ..
ـ أين أخوتى !
ـ ذهبوا ليناموا .. لم يعجبهم الفيلم .. قالوا .. كلام فارغ .. أنت كنت سرحانه يا مريم .. لابد أنك تفكرين فى زوجك الغائب .
ـ كنت أفكر فى حال صديقة .. لى ..

وسكتت « مريم » هل تقول لها ما تحس به من صراع عنيف ما بين قلبها وعقلها .. بين من أحبته ، ودخل عالم قلبها البكر وبين زواج دام العشر سنوات، وأنجبت فيها طفلتين . إن العشرة إذن كما قالت أمها لم تولد الحب .. لكنها بعد كل هذه السنوات ، لم تشعر إلا وقد أصابتها صاعقة الحب .. فانفتح قلبها بكل لهفة الشوق .. إلى لمسة حنون من يده ، وحاولت أن تقاومه ، وتكذب أحاسيسها، وتقتل مشاعرها ، لكن الأيام ، والمواقف جعلتها تلتصق به أكثر .. وأكثر .. وعندما مرض فجأة ، أحست بالخوف عليه وخشيت أن يضيع منها .. فى زحام الحياة . لقد تغيرت الدنيا أمام عينيها ، لأول مرة فى عمرها تحس بجمال الورد التى تتفتح فى الربيع وبنسمات الليل ، وبحلاوة كلمات الأغانى العاطفية ، ومن أجله أحبت كل مطربى ومطربات الحب . وكل كلمة حب .. وأصبحت لا تنام إلا على استعادة همساته التى كان يقولها .

ـ يا مريم . . لا تحاولى أن تهربى من قدرك . صلى لله . . وأشكريه لانك عرفت الحب . . ومرارته . . وعذابه . . وحلاوته أيضا . . لكن لا تخافى عيون الآخرين . . لأنها مقبرة لكل حب . . إذا لم يحرص عليه المحبين . .

ـ لكننى مقيدة وأعيش فى خيوط

ـ وأنا كذلك مقيد . . ولكنى ماذا أفعـــل . . والعمر قصير . . وملىء بالاشواك والآلام . . لكن إذا كانت هناك لحظة أمل . . لحظة حب صادق . . فلماذا لا أعيشها . . لاننى لا أعرف ماذا سيحدث لى غدا . .

ـ ليتنى أستطيع أن أفعل مثلك . .

ـ ما دمت تحبين . . تسحقين المستحيل . .

ومرة أخرى سحبتها من أحلام يقظتها . . كلمات أمها :

ـ مريم . . أين سرحت . . ما هى حكاية صديقتك . .؟

ـ صديقتى ؟ !! . . آه . . تذكرت . .

ـ مريم . . ما بالك . . حالك هذه الأيام لا يعجبنى . .

ـ متعبة يا ماما من العمل . .

ـ ربنا يقويك .. ما هى حكاية صديقتك . ؟

ـ حكاية بسيطة . . إنها متزوجة . . وعندها أولاد . . وبعد سنين وجدت نفسها تحب . .

ـ تحب ؟ ! .. آه .. وماذا فعلت ..

ـ أحبته يا ماما . . حاولت أن تنساه . . لم تستطع . . وأصبحت الحياة فى نظرها .. هو .. لكنها تحرص على أولادها وزوجها وبيتها . .

ـ آه .. هل تحبه فعلا .. أم أنها نزوة

ـ إنه أول حب فى حياتها .. وآخر حب

- وكيف عرفت أنه آخر حب ؟

- لأنها أحبته بعد أن ذاقت كل شيء .. الزواج .. الأولاد .. والأسرة .. لكنها لم تكن تحب من قبل ..

- مشاكلكم يا بنات اليوم .. غير مشاكلنا .. آه ..

- إنها خائفة من عيون الآخرين

- الذى يحب يا ابنتى .. لا يخاف .. إنها حياته ..

- كلامك غريب يا ماما .. أنت تقولين هذا ؟ !!

- أنظرى .. إلى الفيلم .. إنه سينتهى ..

وتسمرت نظراتها بشاشة التليفزيون ، ودخل أحد الأخوة وجلس ، ليقرأ فى مجلة ، وقربت « مريم » الراديو الصغير من أذنها لتستمع إلى كلمات الأغنية .. « خد عمرى كله .. إلا ثوانى أحبك أحبك فيهـــا .. » وتاهت نظراتها إلى بعيد .. بعيد .

فهرس

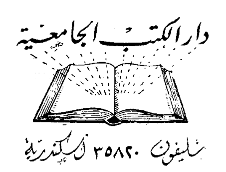
كتب للمؤلف

صدرت

- قصة « دافيد كوبرفيلد » لديكنز . فى حوار تمثيلى ١٩٦١
- محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية ١٩٦١
- فن القصة عند تيمور « دراسة نقدية » دار المعارف ١٩٦٤
- الجنس والواقعية فى القصة « الدار القومية » ١٩٦٥
- بلانهاية « مجموعة قصصية » « دار نشر الثقافة » ١٩٦٦
- الأم فى الأدب « دراسة أدبية » الدار القومية ١٩٦٦
- قصص سكندرية فى المعركة (مع آخرين) ١٩٦٧
- الصحافة الاقليمية والتنظيم السياسى « دار الكتب الجامعية » ١٩٦٩
- الرأى العام والمخطط الصهيونى « المجلس الأعلى للشورة الاسلامية » ١٩٦٩
- الأم .. حكايات وقصص « كتاب اليوم » ١٩٧٢
- قصص قصيرة جدا « دار الكتب الجامعية » ١٩٧٢

تحت الطبع

- أرنب كالآخرين ((روائى))
- أدباؤنا والحب ((دراسة))
- لأنه الحب « قصص قصيرة »
- عيون الحب « قصص تمثيلية »



٣ أغسطس ١٩٧٢

تم طبع الكتاب
بعون الله وتوفيقه

دار بور سعيد للطباعة
محمود محرم وشركاه
٢ شارع سان سابا . أمام سيماريو
ت ٣٩٢٢٥ - بالإسكندرية